روايات عبير

هاربة من الخوف

www.elromancia.com

مرمورية

No. 044

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

هاربة من الخوف

◆ عانت (سيلينا) من زوجة والدها بقدر لا يتحمله بشر. وطمعاً فى الثروة التى ورثتها، طمحت (ديليا) فى تزويجها من شقيقها (هنرى) بالتخويف والتهديد. وفى رحلة إلى جبال الهيمالايا اقترحها هنرى، هربت سيلينا عندما اكتشفت ما يدبر لها . ووقع لها حادث قاتل بمنطقة نائية أثناء هروبها، فأنقذها (لوك) وصديقه (ناريان) من الموت.

كانت تسعى للهرب إلى لندن، لكن خوفها من الوقوع فى قبضة هنرى من جديد جعلها تمكث أياماً مع الشابين الغريبين داخل خيام، حيث بدت جولتهما فى الجبال والممرات والغابات يشوبها الغموض والريبة. لكن سيلينا تكتشف فى النهاية أنهما يعملان بشكل سرى على انجاز المهام الصعبة. وفى الوقت الذى اتجهت مشاعرها إلى (لوك)، باتت قلقة إزاء المهمة التى تجهلها ..!!

I.S.B.N. 977-376-118-5

9 789773 761189

W.Salama 0101517873

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

No. 044

روايات عبير

هاربة من الخوف

روز ايلفر

www.elmaktabeia.com
مكتبة مدبولي

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

١- الطريق العكسى

أخذت «سيلينا روكسلى» تستعيد وعيها شيئا فشيئا. وأحست بحرارة الشمس الحارقة تصفع وجهها وبألم يجتاح بدنها...

تأوهت فى ألم وهى تحس بأشعة الشمس تكاد تخترق جفنيها وتكاد تحيل بياض وجهها سوادا كظلمة ليل حالك. كان ذراعها الايمن ممدودا على استقامته بجانبها وأحست بوخز شديد فى أناملها التى انغرست فى الحشائش الشائكة وكان ذراعها الأيسر ملويا تحت جنبها مسببا لها ألما رهيبا. تحركت فى وهن وأخذت ترفع جفنيها الثقيلتين فى جهد.

كانت مستلقية فى بقعة خالية وسط بحر من الحشائش التى أخذت تتمايل تحت سطوة الرياح، وجدت نفسها مستلقية وكأنها قد تعثرت وسقطت ففقدت الوعى أبصرت قمم الجبال وقد تعلقت بالأفق وحولها هالات من الضباب الأحمر. وقع بصرها على نقطة بدت وكأنها نسر أو حداة طائرة فى السماء فتتبعتها بعينيها فأبصرت قمم الأشجار العالية فى غابة بدت على مسافة منها.

بدأت الذكريات تتجمع فى عقلها وقطرات العرق تسيل فى غزارة لتغسل وجهها وشعور قوى بالغثيان يكاد يغلبها واختلط أزيز الحشرات التى أخذت تحوكم حولها بالأزيز الذى اشتعل فى عقلها...

آه!! إنها الآن فى محمية «كوربيت» الطبيعية فى سفوح «الهيمالايا» فى قلب غابة من الأدغال والأحراش تبلغ مئات الكيلومترات اتساعا!! كادت أن تصاب باليأس من قدرتها على الهروب من قبضة زوجة أبيها «ديليا» وذلك الرجل الكريه اللحوح الذى كانت تخطط «ديليا» لتزويجها به. لكن يبدو أنها نجحت فعلا فى الهرب!! وها هى الآن وحدها ولا أحد من هذين الكريهين بقربها.

أخذت الذكريات تطفو رويدا رويدا الى سطح عقلها الساكن من أثر الصدمة... كانت فكرة «هنرى سبنسر» أن يقضوا شهور الربيع الباردة الكئيبة بعيدا عن انجلترا، هو وهى وأخته «ديليا» المتأنقة التى لم تكف عن مراقبتها كلما غدت أو راحت.

فى البداية اقترح هنرى القيام بنزهة بحرية فى البحر الأبيض، ثم اقترح بعد ذلك لرحلة على ظهر يخت فى احدى جزر الكاريبى الدافئة الجميلة... لكن سيلينا رفضت فى عناد، رغم وعيد ديليا وتهديداتها لها. فاقترح هنرى القيام برحلة إلى الهند،وتحديدا الى احدى المحميات الطبيعية، وبكل غباء استسلمت سيلينا للفكرة وساعتها ابتسمت ديليا لأخيها ابتسامة ذات مغزى وبدا عليها الرضا التام بتلك الفكرة.

كانت الظنون تشتعل فى رأس سيلينا والاستعدادات للرحلة تجرى

على قدم وساق، ولكنها لم تجد فى مقدورها مقاومتها، كما أن الرحلة كانت تمثل إرجاءا لما يفكران به وتشتيتا لهما عنه. طالما شاهدت أفلاما عن رحلات السفارى فى أدغال افريقيا وتمنت لو استطاعت أن تقوم برحلة كهذه وأخذت تحلم بالحياة البرية والمساءات التى ستقضيها جالسة حول نار المخيم تستمع لحكايات الغابات المسلية يقصها عليها أحد الحراس المحنكين.

بدا كل شئ على ما يرام. كان هنرى قد استأجر سيارة ليموزين ليتحولوا فى الاستمتاع بمشاهدة معالم تلك المدينة التاريخية بمبانيها التى هى خليط من الطراز الغربى والشرقى معا، وروائحها وأصواتها وحركة البيع والشراء فى متاجرها... إنه سحر الشرق!!

تجولت سيلينا فى كل أرجاء دلهى... رأت القصر الرئاسى والحدائق الغناء المحيطة به، المبانى الحكومية ذات الطراز الفخيم، ومبانى المحاكم بقبابها المميزة ومناظرها الباسقة. زاروا «لال كيلا» تلك القلعة الأثرية بحوائطها الحمراء العملاقة وأعمدتها الرخامية ذات الزخارف الجميلة والتى كان يوجد بها ذات مرة عرش الأباطرة المغول ذو الجواهر واللآلئ والذى كان يتخذ شكل الطاووس. وتجولوا فى شارع «تشاندنى تشارك»، ثم سافرا جنوبا لمشاهدة «قطب منار» ذلك البرج المصنوع من الحجر الرملى والرخام والذى يقف منتصبا يشق عنان السماء منذ سبع قرون.

كانت سيلينا منبهرة بكل ذلك قديمة وحديثة... ولاحظ هنرى أن تعاليها عليه قد تحول الى حماسة كبيرة.. فاخذ يرمقها ونظرات الرضا

www.elromancia.com

تشع من عينيه. وفى مساء ذلك اليوم وبعد أن تناولوا عشاء فاخرا فى الفندق الفخم الذى كانوا يقيمون به، وعدها بالقيام برحلة إلى «أجرا»، فى طريق عودتهم من المحمية الطبيعية ليشاهدوا الجمال الفريد الذى تتحلى به قباب «تاج محل» ومنائره.

فى صباح اليوم التالى انطلقوا متوجهين عبر السهول الشمالية صوب جبال الهيمالايا... كانوا ثلاثتهم يتسلقون السيارة الليموزين وتتبعهم سيارة جيب تجر وراءها مقطورة امتلأت بالخدم الهنود وبكميات الطعام التى رأى هنرى أنها ضرورية لجعل أجازتهم فى المحمية الطبيعية «متحضرة بالقدر المعقول».

مع ذلك لم تساورها أية شكوك والقافلة تقطع الأميال تتلوها الأميال وكانت ماخوذة بتلك البساطة الخشبية التى تتميز بها الحياة فى القوى الهندية....

عبروا ضفاف نهر الجانج بمياهه الرقراقة وبحراه الفسيح إلى مدينة «مراد أباد» الصناعية المكتظة بسكانها حيث انعطفوا عند مفترق احدى الطرق متوجهين صوب «رامنجار».

أخذت الحضارة تتلاشى شيئا فشيئا وهم يدخلون المحمية الطبيعية على طول احدى الطرق الفرعية، وسط غابة من الأشجار ذات الظلال الكثيرة والأحراش الكثيفة والسهول الواسعة الفسيحة المليئة بالحشائش العملاقة، ومع وصولهم الى احدى الاستراحات على ما يقارب ثلاثين ميلا من رامنجار أطبق عليهم احساس بالعزلة والاغتراب.... كان هنرى قد

حجز المكان بالكامل لهم!!!

أغمضت سيلينا عينيها وقبضت على فمها المرتجف بأصابعها... يا لها من حماقة غبية!! الآن أدركت أن هذه الاستراحة هى نهاية الخط بالنسبة لها.

لقد استغلوها وها هى سجينة مرة أخرى!! تماما كما خطط هنرى وديليا معزولة عن العالم وعن كل معارفها!!

باستثناء نزهة صباحية على ظهر أحد الأفيال المروضة لتشاهد الحياة البرية، لم يكن ثمة أى اقتراح بعمل مخيم فى الغابة أو تسلق الجبال أو زيارة أية استراحات أخرى فى الأدغال. وأوضحت ديليا، وهى مسترخية على مقعد خيزران تخفف قيظ الجو الخانق بمروحة فى يدها فى خمول، أنها ليست على ما يرام بالمرة، واقترحت عليها سيلينا فى برود أن يعودوا أدراجهم الى انجلترا، فانتفضت ديليا صارخة فيها ومذكرة اياها بكم الأموال التى أنفقتها هى وهنرى عليها حتى الآن. إن أقل ما يجب على سيلينا فعله اعترافا بجميلهما هى أن تظهر قدرا من التعاون وترافقه فى نزهاته القصيرة وتحاول اسعاده ما استطاعت!!!

لم يكن لدى سيلينا أية نية للذهاب بمفردها مع «هنرى» بعينيه اللتين تشبها عينى الأفعى ولسانه اللزجة التى كان يقشعر جلدها منها، كما لم يكن لديه بدوره أية نية لتركها تخرج بمفردها. إنها لم يكن مسموحا لها حتى بالخروج الى ما وراء أسوار الاستراحة لاحتمال تعرضها للأخطار من نمر ضال أو فيل جامح وظلت حبيسة هذه الزنزانة طيلة

www.elromancia.com

ثلاث أيام دون فعل شئ سوى محاولة تفادى ذلك الإنسان البغيض، وأسيرة لذلك الاحساس المذل بالهوان أن وقعت فى شباكهم بتلك السهولة، وقد احتشدت فى رأسها أفكار الهروب بعيدا عن تلك الضغوط الرهيبة التى كان يمارسها عليها هنرى وديليا!!

طرأت على ذهنها فكرة بدت أكثر عملية. إذ توجد فى رامنجار محطة للسكة الحديدية ولو استطاعت بطريقة أو بأخرى التسلل الى الجيب والهروب بها عبر طريق رامنجار، إذا فستستطيع حينها أن تتسلق قطارا الى دلهى ومن هناك تطير الى بلدها.... واضح أن هنرى أمر الخدم الهنود يراقبوها هى والسيارات أثناء النهار.... واذا فأملها الوحيد هو أن تفلح فى رشوة أحد هؤلاء الخدم بسخاء ليساعدها فى الفرار ليلا.

كان الأمر أسهل مما توقعت!! فما إن لوحت لأخذ الخدم بورقة مالية من فئة العشرة روبيات إلا ووافق أن يضع لها الجيب على أول الطريق فى ساعات السحر... أسرعت تلملم بعض الحاجيات الضرورية وبعض الملابس والنقود وجواز السفر الخاص بها وتلقى بهم فى حقيبة صغيرة وتسلل فى عتمة الفجر الى السيارة.

لم يكن أمامها سوى الوثوق بالخادم، ووجدته فى انتظارها واقفا بجوار السيارة. أخذ يشير بيديه إليها فى لغة انجليزية ركيكة ليوضح لها اتجاه الطريق الذى تسلكه السيارات ثم اختطف النقود من يدها واختفى فى الظلام. تنهدت بارتياح عندما وجدت مفاتيح السيارة فيها قفزت خلف عجلة القيادة وأدارت المحرك وانطلقت بالسيارة على درب الأحراش بسرعة

فائقة وقد استحوذ عليها التوتر وشعور بالخوف واليأس.

«لا عجب أن انتهت تلك المغامرة الخطيرة بحادثة»... فخلال ثوان حدث كل شئ... إذ اندفع قطيع من الغزلان المنعطفة أمام السيارة كانت هى لحظتها تختلس النظر وراءها خيفة وتوجسا. ضغطت مكابح السيارة فى قوة واصطدم رأسها بالمقود فى عنف انقلب السيارة على جانبيها عدة مرات ثم استقرت فى وسط الحشائش وظلت سيلينا مستلقية بها برهة وهى مشوشة الذهن ثم أحست فجأة برغبة ملحة فى الخروج بسرعة من السيارة والعدو بعيدا... بعيدا... لتختبئ فى مكان ما... أى مكان...

قبضت بيديها على رأسها النازفة وجرجرت قدميها فى انهاك ومضت تتعثر وسط الأحراش والحشائش الى أن وجدت نفسها وسط مساحة خالية ليس بها سوى قليل من حشائش الحنطة الصغيرة... الآن بلغ الانهاك بها مداه واصبح الألم فى ركبتيها لا يطاق فجثت على ركبتيها وارتمت للأمام.

لو تحاملت على نفسها وجرجرت قدميها حتى السيارة فسرعان ما يلحقون بها... وحينها!! حينها لن تسلم من نظرات هنرى التى تشبه نظرات الثعابين... ولن يمل من توبيخها ونعتها بالغباء والعناد الشديد بصوته البارد ونبراته الموعدة!! وديليا كذلك... هل ستتركها ديليا وشأنها؟!! ذلك محال. ستظل طوال الطريق الى الاستراحة وهى تقذف فى أذنيها بحمم مستعرة من لسانها السليط...

رفعت سيلينا يدها لتظلل على عينيها وهى تنظر فى ساعتها.

حمدا لله إنها لا تزال سليمة.. ها هى الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهرا. ثمانى ساعات!! مضت ثمان ساعات منذ أن هربت من الاستراحة، وخمس ساعات على الأقل منذ اكتشفوا غيابها. إنها مسألة ساعة أو ساعتين حتى يعثروا على الجيب ثم يأخذوا فى البحث عنها...

من المؤكد أنهم قد حددوا مكانها الآن؟ لا يمكن أن تكون قد شردت بعيدا جدا عن الطريق... خصوصا وهى فى حالتها تلك. لكن... لماذا لم يلحقوا بها حتى الآن؟!! قطبت حاجبيها وأفلتت منها آهة ألم من ذلك الرض الذى يلتصق برأسها.. لكن دب فى أوصالها فجأة شعور بالأمل... ربما لا تزال أمامها الفرصة. فقط لو استطاعت الوصول الى الجيب وكانت السيارة لا تزال سليمة واستطاعت قيادتها عدة أميال... فقط بضعة أميال!!!

رباه! ماذا ستفعل لو لم يأت أحد، إن الأمور ستزداد سوءا مع مرور الوقت وحلول الظلام... وهذه الحيوانات المفترسة التى تحوم فى المكان... وليل الغابة الثقيل الرهيب... هذه الحشائش لابد أنها ملآنة بالثعابين السامة والعقارب الفتاكة... نعم. إنها تكاد تسمع صوت حفيفها وهى تزحف وسط هذه الحشائش...

تصلبت عضلاتها وتقلصت معدتها... ما هذا الصوت الذى يأتى من وسط الحشائش، هل هو بسبب النسيم؟ أم أنه أحد الثعابين الفتاكة؟!! رباه!! لابد أن تخرج من هنا بأى طريقة... بأى ثمن.. فقط لو كان ذهنها أصفى من ذالك!! ولو حصلت على بعض المياه الباردة لتروى ظمأها

وتغسل رأسها الذى يكاد ينفلق من الصداع!!

ازداد صوت خفيف الحشائش علوا، لكنه ضاع وسط ضجيج ضربات قلبها المتسارعة. كادت تفقد وعيها وهى تحس بانفاس ساخنة تلفح اذنيها وشئ له ملمس رطب كأنف حيوان يكاد يلتصق بوجهها... صرخت سيلينا... صرخت من كل أعماقها ولوحت بيدها فى ذعر فاصطدمت بفراء كثيف وزلزل اذنيها نباح غاضب فأخذت تصيح وتصيح وتصرخ فى هلع ورعب هائل...

- باتش!!

دوى صوت هائل.. صوت بشرى... نعم... صوت إنسان أحست سيلينا براحة عميقة تسرى فى أوصالها التى كانت قد تجمدت من شدة الذعر، راحة جعلتها تحس بدوار شديد ثم... ثم غابت عن الوعى.

عندما أفاقت سمعت غمغمة بالقرب منها... رأت قطرات الماء تتساقط على شفتيها الجافتين فأخذت تلعقها بلسانها وتسحبها الى حلقها الذى جف رعبا من قبل.

حمدا لله... كانت هناك عصابة باردة تلتف حول رأسها وعينيها. رفعت يديها وأزاحت العصابة قليلا فأبصرت وجها أشعث الشعر صبغته الشمس بلون داكن وحاجبين كثيفين وعينين جامدتين عميقتين تنظران اليها وكأن صاحبها يستقرئ أفكارها...

- كيف حالك الآن يا انسة روكسلى؟

أجابته فى وهن:

- كيف تجدنى؟! لماذا تأخرتم؟! هل أرسلكما هنرى... لتبحثا عنى؟!

انعقد حاجب الغريب فى دهشة وحول نظراته إلى يمينها فتابعته سيلينا لترى كهلا هنديا وسيما يرتدى جاكته سفارى نظيفا وقد جلس على ركبتيه الى جوارها، وخلفه كلب أرقط اللون وقد جلس القرفصاء وقد انتصبت إحدى أذنيه بينما تدلت الأخرى للأمام ونظر إليها بعينيه العسيليتين. استدار إليها الغريب وسألها فى عصبية:

- من هذا الهذى؟ هل كان معك فى السيارة؟

سبحت نفسا عميقا وأجابته:

- لا. لا لا... ظننت أنكما من حراس الغابات أو شيئا من ذلك وكنت أظن أنه ربما يكون... قد... قد استأجركما لتبحث عنى.

- غلط!! أنا «لوك فان مير»... وهذا صديقى «غارايان».

كان يتحدث فى غضب ويتفحص وجهها بنظراته النفاذة.

ارتسمت الريبة على وجهها وهى تسأل فى تردد:

- إذا... كيف عرفتما اسمى ؟!

- كنا نتجه غربا مع الطريق عندما لمحنا سيارتك المقلوبة. حقيبتك كانت لاتزال بها وجواز سفرك كذلك كان فى حقيبة يدك. لم يستغرق باتش- الكلب- سوى دقائق معدودة للعثور عليك:

تنهدت فى ارتياح:

- هه!!! حمدا لله!!

- كفى كلاما الآن، لابد ان رأسك فج أصيب إصابة مقرفة. سنحاول إسعافك حيث يوجد لدى صندوق إسعافات أولية.

سألته وهو يضع المطهرات:

- هل تحمل معك دائما معدات للجراحة؟

نفض التراب عن سرواله وأضاف:

- غالبا ما نحمل معنا بعض الأدوات الجراحية الضرورية، وبعض العقاقير الاحتياطية التى قد نحتاجها فى مثل هذا المكان... عقاقير ضد الملاريا والتيتانوس، مصل مضاد لعضة الثعابين وما إلى ذلك.

ناولها نارايان قدحا من الشاى فتناولته فى نهم شديد وهو يقول:

- تبدين أحسن حالا الآن يا آنسة روكلسى. من حسن حظك أن هذه الحادثة وقعت لك الآن. ولو كانت حدثت بعد الآن ببضعة أسابيع كنت مت من الجفاف. ضربة الشمس كما تعلمين.

- نعم.

أجابته فى أسى وهى تشكره على الشاى بصوت واهن.

تركها الرجلان لترتاح قليلا وتوجها الى السيارة الجيب يفحصانها سمعت سيلينا صوت خنخنة فرفعت عينيها لترى الكلب يزحف نحوها

www.elromancia.com

على بطنه وفى عينيه ذلة وتودد فرفعت يدها فى ضعف وأخذت تربت على أنفه الرطب وهى تقول:

- حسنا حسنا. لقد عثرت على ولذا فقد سامحتك على اقزاعك لى، لكن كيف ساخرج من هذه الورطة؟

أخذت تراقب الرجلين وقد انهمكا فى حديث هامس. كانا يشكلان ثنائيا غريبا. كون لوك فان مير اضخم الجثة عريض المنكبين ذا ملامح برونزية وشعر أشعث، وكان يبدو مهملا فى ملابسه ورثا فى هيئته وهو يرتدى تلك السترة المهلهلة وذلك السروال الذى أذابه العرق. لم يكن لوك يشبه فى شئ رفيقه الطويل الأنيق المهندم فى ملابسه وهيئته بوجهه البنى وشعره الممشط فى عناية.

كان ذهن سيلينا أصفى الآن... الآن تستطيع أن تفكر فى حيلة ما للخروج من الورطة التى وقعت فيها. إن السيارة الجيب تبدو صالحة للاستعمال لقد صنع هذان الرفيقان كل ما بوسعهما لمساعدتها، وحيث أنهما ليسا من طرف هنرى تستطيع أن تخبرهما أنها ذاهبة الى رامنجار وتطلب منهما بعض الطعام والشراب وأن يدلاها على الطريق.

نهضت من رقدتها فى وهن ونادت قائلة:

- سيد فان مير!!

التفت إليها الرجلان...

... هل يمكن أن تحضرا لى حقيبتى وبعض الماء؟!

انتشل لوك فان مير حقيبتها بيده من السيارة وخطا نحوها فى تمهل وعلى شفتيه ابتسامة وقال لها فى كسل:

- عندما تبدأ المرأة فى التفكير فى مظهرها فتلك اذا علامة جيدة!!.

سحبت نفسا عميقا وقالت فى تعال:

- أتمنى أن تكون الجيب بحالة جيدة. إننى أود أن أصل إلى رامنجار قبل حلول الظلام.

أجابها لوك فى سخرية وتهكم:

- هكذا سيادتك!! إذا لماذا كنت جلالتك تسيرين فى الاتجاه المعاكس.

انتفضت فى هلع تجيبه:

- الاتجاه المعاكس؟؟!! لا لا لا ... مستحيل!!

- بل نعم... نعم. من آثار الاطارات ومن مكان الجيب نستنتج "أن جنابك كان يتخذ الطريق المتجه مباشرة الى التلال، يا آنسة روكسلى.

ولولت فى عويل:

- لا يمكن! لا يمكن!

لكنها كانت تدرك أنه ممكن. لقد كانت الدنيا ظلاما وكانت هى مرعوبة وتحتمل جدا أنها انعطفت فى الاتجاه الخطأ. آه!! لهذا اذا لم يلاحقها هنرى وزبانيته رغم مرور كل هذه الساعات!! لابد أنهم الآن

www.elromancia.com

يمشطون الطريق إلى رامنجار، معتقدين أنها سلكت الطريق الرئيسى إلى المحمية، كما كانت تنوى أن تفعل.

من المحتمل جدا أنهم لا يزالون هناك يقلبون الطريق رأسا على عقب بحثا عنها ويستجوبون كل رائح وغاد ويطاردونها ويقتفون آثارها كما لو كانوا يقتفون آثار نمر ضال. ومن المحتمل أن هنرى أبلغ كل أقسام الشرطة على طول الطريق إلى دلهى، ولا تبدو أمامها أى فرصة للهروب من ذلك الفخ.

الآن ماتت آخر لمحة من الأمل لديها... دفنت «سيلينا» رأسها بين يديها وهمست:

- يا إلهى!! ماذا سأفعل الآن؟!

٢ ـ كورال الذئاب

وقف «لوك فان مير» ويداه معلقتان فى حزامه وهو يتأمل «سيلينا» التى جلست القرفصاء عند قدميه وقد بدا عليها الاكتئاب الشديد... أخذ لوك يتأمل يديها الصغيرتين الرقيقتين وتلك الومضات التى أخذت تتلألأ فى شعرها الأشعث المغبر وقد تبعثر فوق وتحت العصابة التى لفت رأسها المنحنى. حدق فيها برهة وقد ضاقت حدقتا عينيه وبدا عليه التفكير الشديد ثم هز كتفيه وهو ينظر إلى وجه نارايان الهادئ ويقول:

- تمالكى نفسك يا آنسة روكسلى، فلن نتركك هنا فى هذا المكان لتتدبرى شئونك بنفسك.

قالها وهو يكتم غيظه فاحست بكتفيها تتصلبان كما لم تفعلا من قبل. رفعت رأسها فى غطرسة طالما تعاملت بها مع هنرى وأخذت عيناها البنفسجيتان تتفحصان لوك بنظرات متعالية .

- لقد كنت أنت والسيد... نارايان... كريمين معى ولكن... أعتقد أنكما تريدان مواصلة طريقكما مرة أخرى. أستميحكما العذرة إن كنت قد اخرتكما، لكن لا يمكننى أن أؤخركما لأكثر من ذلك أيها السيدان...

www.elromancia.com

- هل كنت تحاولين الفرار لتلحقى بهذا المدعو هنرى فى «رامنجار»؟ أم كنت تفرين منه؟

لاحظ نظرات الدهشة التى اصطبغت بها عينيها فاضاف،

... أيا كان الأمر، لقد كان غباءا منك أن تحاولين الفرار فى سيارة جيب دون حتى أن تدرى أى طريق تسلكين.

ساد الصمت برهة حتى استطاعت سيلينا لملمة صوتها فاجابته،

- لو كنت قد انهيت حديثك يا سيد فان مير، يمكنك الذهاب.

- لا يمكنك أن تامرينا بالانصراف هكذا، وكاننا خدمك يا انسة روكسلى!!

صاحت فى ارتباك،

- أووه! يا إلهى!! تعلمان اننى لم اقصد ذلك ابدا. بل أقصد انكما حينما تنصرفان أستطيع التفكير بشكل أفضل!!!

جثا لوك فان مير على ركبتيه بجوارها...

- انظرى.. إننى أخمن انك قد فررت من هنرى من استراحة ما فى المحمية... أليس كذلك؟

ثم اكتست نبراته بشئ من الاقتناع وهو يضيف،

- أيا كان سبب فرارك، فمن الحكمة أن تعودى إليه. أخبرينا عن اسم الاستراحة وسنعيدك إليها فى أمان.

لا يمكن أن تسمح لها باعادتها الى ذلك الفخ مرة أخرى، وخصوصا فى مثل حالها تلك... منهكة ومرتبكة وواهنة من أثر الجوع والعطش. مستحيل... لا تستطيع أن تتحمل مواجهة هنرى وديليا مرة أخرى دون أن تكون لديها أدنى قدرة على التصدى لمؤامراتهما!! انها تفضل أن تموت وسط هذه الأحراش... ارتجلت وهى تضرب على راسها فى رفق وكانها تتذكر،

- أووه! لست أذكر بالتحديد...

أجابها لوك يستحثها،

- هيا يا آنسة روكسلى!.. تذكرى!!! لدينا أنا ونارايان طريق طويل يجب أن نقطعه ولا يعقل أن نمشط دائرة قطرها خمس وعشرين ميلا تقريبا للبحث عن استراحتك.

- لن أذهب إلى أى استراحة. أريد الخروج من هذه المحمية بأية طريقة ثم الذهاب إلى دلهى والطيران منها الى انجلترا.

غمغم الهندى فى هدوء قائلا،

- خسارة!! ليس لدينا الوقت لمرافقتك إلى رامنجار، كما أنه لا يمكنك السفر بمفردك وانت فى حالتك تلك. كما أن عائلتك وأصدقائك لابد انهم قلقون عليك وعلى سلامتك للغاية. أليس كذلك؟

www.elromancia.com

- أوه نعم. طبعا. نعم. قلقون نعم.

وأفلتت منها ضحكة خافتة.

- أصدقائى نعم وأصدقائى المزعومين!! ليس بسبب ما تعتقد!!

وازدادت لعابها فى رعب وهى تضيف: سلامتى! بكل تأكيد ساكون أكثر أمنا عندما أكون لوحدى هنا.

هب لوك واقفا على قدميه يسألها:

- ما المشكلة؟

أجابته بحروف تتقاطر منها المرارة:

- المشكلة أننى كنت غبية لدرجة أننى سمحت لها باستدراجى إلى هنا... فى هذه المحمية المعزولة.

- ما معنى ذلك؟ لقد قلت أنك ستكونين فى أمان أكثر هنا فى هذه الأدغال. هل أنت بمفردك مع هذا الهنرى فى الاستراحة؟ هل كان يتنمر عليك؟

أجابته وقد تفطر صوتها بالغضب:

- لا لم نكن بمفردنا هناك... كان معنا تلك المدعوة «ديليا».

- ومن هى؟!

- إنها... زوجة أبى.

- أى فى مقام أمك؟ إذا لماذا أبوك ليس معكم هو الآخر؟

- لأنه... توفى الصيف الماضى- كما أنها ليست فى مقام أمى بأى شكل، ولن تكون!!

أطبق عليهما الصمت للحظات بدت دهورا... ثم سألها لوك فى ريبة:

- هل تريدين أن تقولى أن هذا الرجل كان يحاول التحرش بك وأن من هى فى مقام والدتك لم تفعل شيئا لمنعه؟

- هل يجب أن نستمر فى ذلك التحقيق! لن أقول المزيد- سوى أننى لن أعود إليهما... مهما كانت النتائج.

اغمضت جفنيها وتنهدت فى أسى وهى تضيف فى تهالك إنك مثل كل شخص حاولت الكلام معه كما...

- يمكنك أن تجربى إخبارى بالحقيقة.

رفعت سيلينا رأسها ولوهلة أمسكت نظرات «لوك» بتلابيب نظراتها وقد بدت فى عينيه مسحة من السخرية اللاذعة جعلت الدماء تغلى فى عروقها وتصيح فيه فى امتعاض:

- يمكنك أن تخلع نظرات التهكم هذه عن عينيك أيها السيد، أعلم ما الذى يجول بخاطرك الآن! إننى فتاة مدللة ولا أستطيع تحمل الحياة الخشنة فى هذه الأدغال! وأننى تشاجرت مع «رفيقى» وأننى أثير المشاكل لكل من يوقعهم حظهم العاثر فى طريقى!!

كان وجهها مختنقا من شدة الغضب وقد جفت وجنتاها وتصلبت بشرتها بطريقة مؤلمة وقد أوشكت على الاصطباغ بسمرة من أثر حروق

www.elromancia.com

الشمس. صاحت فيه فى غضب:

- هل تريد الحقيقة؟! الحقيقة أننى خائفة... بل مرعوبة!

بدا الزهول على وجه الهندى وأشاح ببصره بعيدا عنها. استدار «لوك» على عقبيه وجذب «نارايان» من ذراعه وانتحى به الى جانب الطريق الى جيث الجيب وتركا «سيلينا» جالسة على الأرض وبداها فوق عينيها وتحاول فى استماتة السيطرة على نفسها ومنع نفسها من البكاء.

أدركت سيلينا بعد برهة أنها ستضطر الى الرضوخ «للوك فان مير»... إن آجلا أو عاجلا. أخذت تربت على ظهر الكلب لدقائق قبل أن تلتفت فى استسلام إلى لوك وتنادى عليه لتخبره أنها قد رضيت بالعودة الى الاستراحة. كان «لوك» لا يزال فيها مس مع «نارايان» الذى استدار ناحيتها وهمس فى أذنى «لوك» بشئ خطا «لوك» نحوها فى تمهل وحاولت هى النهوض من مكانها لكنها كادت أن تسقط من الوهن فأسرع لوك يمسك بكتفيها ويجلسها مرة أخرى.

قبل أن ينبس بكلمة أسرعت هى تزيح يديه جانبا وتقول:

- لا أعتقد أننى أستطيع تحمل المزيد يا سيد «فان مير». لقد فزت أنت. ليس لدى أى حق فى فرض آرائى على الغرباء، وإن كنت قد تصرفت بحماقة أو تهور...

قاطعها فى هدوء:

- لا يا آنسة روكسلى، أنت التى ربحت هذه الجولة.

- ... أعتذر لقد كنت مصدومة ومتعبة ولم أستطع التفكير فى الأمر على نحو صحيح.

ورفعت رأسها فى بطء واتسعت عيناها فى دهشة:

- ماذا؟! ماذا قلت؟!

- إن كانت الظروف، أيا كانت، قد أوصلتك الى مثل هذا الموقف، فنحن عندئذ مضطرون للتصرف بأى شكل. أنا آسف أننى قد أخذتك بالشدة منذ قليل، لكننا مضطرون للتأكد من أن الأمر لا يهدو مجرد مغامرة بسيطة فاشلة.

تفحصت قسمات وجهه فى ريبة وهى لا تكاد تصدق ما يقول الى أن أقنعتها نظرات الجدية والثبات فى عينيه بأنه يعنى ما يقول. أغمضت عينيها وتركت نفسها لتيار جارف من الارتياح يجتاحها فأحست بدوار وكادت رأسها تسقط للخلف لولا أن أسرع «لوك» يتلقى رأسها ويضعها فى رفق بين ركبتيها.

وضعت يدها على معدتها فى اشارة للألم الذى ينهش أحشاءها من شدة الجوع.

- متى أكلت آخر مرة؟

- منذ... ليلة أمس. العشاء... لم تكن شهيتى كبيرة... كنت مشغولة باحتمالات نجاحى فى الهروب. وهذا الصباح تسللت قبل بزوغ الفجر، ولم يدر نجلدى أى شئ سوى مدى حاجة الخادم للمال واستعداده لتجهيز السيارة لى فى المكان والموعد الذى اتفقنا عليه.

www.elromancia.com

سألها نارايان الذى كان يقف منذ مدة الى جوارهما وقد بدت الدهشة على ملامحه:

- هل رشوت أحد الخدم ليساعدك فى الهروب، يا آنسه روكسلى؟

- لم يكن لدى خيار آخر. هنرى استاجرهم لضمان عدم خروجى من الاستراحة، ولم يكن أمامى بد من ذلك. لكن يبدو انه أعطانى اتجاهات خاطئة... أو ربما كنت انا فى عجلة شديدة من أمرى فلم انتبه جيدا لما قال... لست أذكر بالتحديد.

أسرع لوك يقول:

- انا، من الافضل ألا نتأخر أكثر من ذلك.

نقلت لروسيلينا عينيها بينه وبين نارايان وهى تقول:

- ما... ماذا ستفعلان؟

- تبعدك عن الخطر قبل كل شئ. لابد أن هنرى يقتلع كل شجيرة بحثا عنك على طول الطريق الى «رامنجار» وما بعدها، ولكنه بالتاكيد سيوسع دائرة البحث عنك عندما لا يعثر عليك، لذا فكلما أسرعنا بالتحرك من هنا كلما كان أفضل. كما أننى ونارايان لا يمكننا التاخر لأكثر من ذلك. أجابته ميلينا وفى عينيها شعور بالذنب:

- لم أكن اقصد ابدا أن أؤخركما كل هذه المدة. لكننى سعيدة جدا لأنكما أنتما من وجدنى..

علق لوك قائلا فى هدوء:

- ونحن فى خدمة السيدة روكسلى...

قالت بلهجة عكست مدى الراحة التى تشعر بها:

- على كل حال ليس أمامى سواكما، ثم إن صحبتكما افضل من هذه الغابة الموحشة الكئيبة. ويجب أن أستفيد من وجودكما قدر ما أستطيع. علق «لوك» على كلامها قائلا فى تافف:

- «هراء! هيا بنا ليس هناك وقت لمثل هذه الثرثرة».

هب واقفا على قدميه فى رشاقة بدت مندهشة من رجل بمثل هذه الضخامة ومضى بها نحو السيارة التى فتح «نارايان» بابها المجاور للسائق ليجلساها فيها. ما أن أغلق الباب حتى تنهدت سيلينا فى عمق وهى لا تكاد تصدق ما آلت إليه الأمور حتى هذه اللحظة. كانت السيارة دافئة ومريحة واسندت سيلينا رأسها لقمة المقعد وأغمضت عينيها.

فتح «لوك» باب السيارة ودلف خلف مقعد القيادة...

سألته سيلينا:

- ماذا ستفعلان بالسيارة الجيب؟

أخرج رأسه من النافذة ونظر وراءه وهو يقول:

- لا تقلقى. سيتولى نارايان أمرها.

بادرته تقول:

- لكن حقيبتى....

www.elromancia.com

قطب جبينه وانعقد حاجباه فى سخرية وبدا منظره مضحكا لدرجة جعلتها لا تهملك نفسها من الضحك... ضحكت كما لم تضحك منذ شهور!!

غمغمت والابتسامة تنير ثغرها،

- آسفة، هائنذا أتكلم مرة أخرى!!!

مرقت الجيب بجوارهما وقد احتل «نارايان» مقعد القيادة وحقيبتها إلى جواره. والكلب فى المقعد الخلفى. لوح الهندى بيده محييا اياهما وضغط دواسة الوقود فى قوة واختفى خلف سحابة من الغبار.

قال لوك،

- سننتظر قليلا حتى تستقر فى طريقها.

وأخذ يبحث بيده وسط الخرائط والأوراق الموجودة لوحة القيادة ثم أخرج علبة من أقراص الجلوكوز ونالها اياها وهو يقول،

- ضعى بعضا من هذه الأقراص فى فمك وستذهب عنك لجوع مؤقتا الى أن نصل إلى مكان نقيم فيه مخيمنا.

- ومتى سنصل؟

- بعد نحو ساعتين.

ظلا صامتين لعدة أميال وقد استرخت سيلينا فى مقعدها وأخذت تلوك قرص الجلوكوز بين أسنانها وبدات عضلاتها المشدودة المتوترة تسترخى على نحو لم تتخيل أنه كان يمكن أن يحدث منذ يوم أو شهر

أو أسبوع. بدأ عقلها يطوف فى بحر من الأفكار وضبطت نفسها وهى تتساءل عن وظيفة ذلك الرجل الجالس الى جوارها، هل هو فى مهمة رسمية أم فى اجازة، أم...

التزمت سيلينا الصمت مرة أخرى واتخذت وضعا أكثر راحة فى مقعدها. أخذت تتامل «لوك» بطرف عينيها... إنه يبدو أصغر سنا من هنرى، ربما فى الثلاثين؟ إن يديه كبيرتان ومربعتان ولكن... إن أظافره نظيفة!! كيف يمكن أن تكون أظافره نظيفة هكذا وهيئته وملابسه رثه إلى هذا الحد؟!! تثاءبت سيلينا فى خمول وتساءلت فى نفسها كم يمكن أن تكون الساعة الآن اختلست نظرة الى ساعة «لوك»... كانت ساعة رقمية كبيرة الحجم، وتبدو باهظة الثمن كذلك... ها هى علامة أخرى لا تتفق مع رثاثة مظهره. كانت ساعة يدها قد توقفت. بدأ جفناها يتثاقلان... إنه نوع غريب من الرجال. «لوك فان مير»... يا له من اسم غريب كذلك... يبدو الاسم هولنديا... لكن لكنته الانجليزية لا تخطئها الأذن، باستثناء بعض الحروف والكلمات... ربما فى لكنته مسحة من لهجة أهل أمريكا الشمالية...

كانت سيلينا ترقد على سرير هزاز من النوع الذى يستخدم فى المخيمات. اتكئت على كوعها ونظرت حولها. كانت السيارة والجيب تقفان على جانب أحد المنحدرات الصخرية، بينما أقيم على الجانب الأخر من المنحدر مخيم منظم يتكون من خيمتين صغيرتين وغيرها من لوازم المخيمات. كانت هناك نار موقدة ويترافص لهيبها فى دفء وحميمية داخل دائرة من بعض الأحجار الصغيرة وفوقها شبكة عليها

www.elromancia.com

سمكة نظفت وأخرجت أحشائه.

كانت الأرض فيما وراء موقع المخيم تنحدر بين الأحراش والصخور متجهة الى حوض نهر بدت مياهه قاتمة اللون. كان المنظر كله كما تمنت وتخيلت أن يكون عندما وافقت على تلك الرحلة...

بادرها نارايان وهو يبتسم قائلا:

- النوم هو أفضل ما يعيد عافيتك.

ضحكت فى مرح وحبور وهى تجيبه:

- أشعر بتحسين الآن و... نعم إننى أتضور جوعا! هل اصطدتم هذه السمكة لتوكم؟

نظر إليها مبتسما وأجابها قائلا:

- لست أنا من اصطادها. السيد «فان مير صياد سمك محنك يا آنسة روكسلى ، وذلك لحسن حظنا نحن الاثنين. لقد اصطاد هذه السمكة اللذيذة، من بركة صخرية على مقربة من هنا. يبدو السمك كما لو كان يتوسل إليه أن يصطاده.

أجابته ضاحكة:

- إن السمك لن يجرؤ على رفضه!!

عاد إليه مزاحه وهو يقول:

- صحيح، «لوك» يصبح عنيدا عندما يصمم على شئ.

سألته فى تردد:

- هل تعرفه منذ وقت طويل؟.

- «نعم نعم. منذ سنوات عديدة مضت».

- يبدو عارفا بالحيوانات. هل هل هو من محبى الطبيعة؟.

- يمكنك أن تقولى هاو على علم ومعرفة.

قالها وانشغل بأدوات المخيم ويبدو أنه لم يكن ميالا للاستطراد فى ذلك. رغم انزعاجها، لم تحاول اسيلينا ملاحقته بمثل هذه الأسئلة التى يمكن أن تكشف لها المزيد عن شخصيتهما. لا يكاد الأمر يهم فهى لن تسافر معهم طويلا بحيث تهتم لأمرها ومن يكونان. ومع ذلك فهى تود لو كانت قد عرفت شيئا إضافيا عن خلفية «لوك»... ونارايان أيضا، ولم لا «فكلاهما» منقذاها.

أين يكون لوك قد اختفى بحق الله؟! تساءلت سيلينا فى نفاذ صبر، وعندها أبصرته يصعد المنحدر قادما من ناحية النهر وبرتدى سروالا قصيرا وقد وضع على كتفيه منشفة وقد دكن شعره الأشقر من أثر الرطوبة ولا تزال المياه تتقاطر من على بدنه.

أشاحت نظراتها بعيدا وهى تقول:

- آسفة لأننى لم أكن مستيقظة لأساعد فى اعداد المخيم.

كان ذلك أول ما جال بخاطرها وأضافت على عجل:

- هل يمكننى ان اغسل ملابسى؟

www.elromancia.com

أجابها فى ثقة وهدوء:

- طبعا. يوجد هناك ركن منعزل يصلح أن يكون مختلى لسيدتنا الفاضلة.

ثم ضغط على حروفه وهو يضيف فى حسم:

- ممنوع النزول الى النهر. هناك «أصلة» فى النهر وهى كبيرة بما يكفى لطحن عظامك الرقيقة وسلب الروح من بدنك الواهن.

اتسعت حدقتا عيناها فى دهشة وهزت كتفيها وعرجت الى مختلاها. عندما التفت ناحية النهر ونظرت وراءها مرة أخرى كان قد ذهب. كان الدلو مملوءا والغلاية موجودة لتزويدها بما يحتاج من مياه واذا كانت هناك أصلة أم كانت من اختراع «لوك» فالامر لا يستحق مخاطرة الاكتشاف!!

جلست سيلينا الى نار المخيم فى صحبة الرجلين وهى تحس بهدوء وراحة عجيبة، أكلت السمك وشربت عصير البرتقال ثم شربت شيئا من الشاى المحلى بسكر خام يطلق عايه «جور»... كان مذاق كل ذلك لذيذا فى فمها بعد طول جوع!! لقد بدا وكأنه أفضل حينها مما يمكن أن يقدمه إليها المطبخ الفرنسى!! أخذت السنة النار تتراقص وتلقى ظلالا أرجوانية اللون على عالم يشبه الحلم تحيط به الخضرة من كل مكان ويمتلئ بأصوات الليل ويعبق بروائح الأدغال التى تبث الانتعاش فى الأرواح الخاملة، وفوق كل هذا وذاك ترفرف عليه سكينة اطمأنت لها نفسها كثيرا. أخذ الرجلان يثرثران فى حديث لم تستطع منه تبين ما يخططان له.

غمغمت فى تردد:

- ماذا سأفعل غدا بخصوص- بخصوص الذهاب الى دلهى؟

قال لوك:

- لا تقلقى. سنرتب لك كل شئ.

غمغمت فى شرود:

- شكرا لكما.

بعد ذلك بقليل أضاءوا مصابيح العواصف ونصبا لها السرير المعلق داخل احدى الخيام. تسللت تحت الستارة الواقية من البعوض...

خاطبها لوك وهى تستقر فوق سرير قائلا:

- مهما حدث لا تضعى قدميك حافيتين على الأرض، هناك ثعابين وزواحف أخرى. كذلك هزى نعليك جيدا قبل أن تلبسيهما.

رفع الستارة قليلا وتحسس الكدمة التى فوق عينيها قائلا:

- أنت فى أمان تام معنا يا سيلينا. هل تفهمينني؟

أومأت برأسها فى شرود فأضاف:

- احصلى على قسط وافر من الراحة هذه الليلة فستحتاجينها فى رحلة العودة الى وطنك.

أسدل الستارة فوقها مرة أخرى وغادر الخيمة وظلت هى لبرهة تستمع الى همسات الرجلين الجالسين حول نار المخيم. وبعد ذلك أحست

www.elromancia.com

بسرور عجيب يتخلل كيانها مع أصوات الليل التى أخذت تداعب سمعها، أصوات خشخشة الأحراش وأزيز البعوض ونقيق الضفادع، وتلك الأغنية الحزينة التى كان يصبح بها أحد طيور الليل من بعيد. وذلك السكون البشرى العميق!!

استغرقت سيلينا فى النوم ولكنها ما لبثت أن استيقظت فزعة على صوت عواء مفاجئ تبعه كورال من حيوانات تعوى وياتى صوتها من بعيد تلفتت حولها فى ذعر فوجدت باب الخيمة قد رفع وظهر وجهه «لوك فان مير» الذى كان يرقد الى جانب النار...

صاحت سيلينا فى صوت مرتعش،

- لوك!!

تقلب لوك على جانبه قليلا وأمرها دون أن يلتفت وقال فى هدوء،

- إنه مجرد ذئب يا سيلينا. واصلى نومك.

ها هو «لوك» على مقربة منها... اذا فهى فى أمان! ربما أكثر أمنا مما كانت عليه فى بيتها أو فى أى مكان آخر. آمنة تماما معه.

لكن غدا... غدا ستصبح وحيدة مرة أخرى... وحيدة الى درجة مرعبة.

٣ ـ القرار الحاسم

قوست سيلينا ظهرها وتمطت فى خمول تحت الغطاء وأبقت عينيها مغمضين إلى أن اخترقت سامعها صياح القردة غير المألوف وصوصوة عصافير الأدغال وصياح مالوف لديك ولكنه يصل اليها من مسافة بعيدة. فتحت عينيها فى بطء فابصرت ضوء الشمس الخافت يتسلل إلى الخيمة... عادت إليها ذاكرتها فى وضوح جعل الكآبة شرى فى نفسها... اليوم هو يوم الرحيل... يجب أن أنهض وأستعد للرحيل.

كانت النار قد أوقدت فعلا ويوجد إناء قهوة مطلى يتصاعد منه بخار ذو رائحة فواحة، لكن لم يكن هناك أثر للوك ولا لنارايان. انتصب «باتش» يتمطى واقفا فى المقعد الخلفى للجيب ثم قفز يعدو فى دلال وألفة نحو سيلينا وهو يتمطى متكأ على قدميه الأماميتين ويتثاءب فى خمول وقد انعقد ذيله فى حلقات.

رتبت سيلينا على ظهره وهمست له قائلة،

- حسنا تعال معى إذا أردت.

توجهت نحو البقعة المنعزلة التى خصصها لوك لها بالأمس. وجدت

www.elromancia.com

ملابسها قد جفت. طوت ملابسها واكتشف انها اضحت مهلهلة لدرجة تستحق معها أن تلقى بها بعيدا. بالنسبة للاغتسال فلا يوجد دلو ولا ابريق لماذا لا تغتسل فى النهر؟! خطت فى تثاقل نحو النهر والكلب الى جانبها يخنخن وينفض نفسه.

كان النهر يجرى فى وادى محصور تحف به الأدغال من جانبيه. كان ضحلا الى حد ما وينساب مثل الحرير الرمادى الناعم حيث تقف ولكنها كانت تستطيع أن تسمع صوت هدير دفاق فرنت ببصرها فى اتجاه أعالى النهر فرات النهر يصطدم. فى طريقه ببعض الكتل الصخرية الكبيرة. ثم وقع بصرها على نارايان يقف على الضفة المقابلة نقلت بصرها عنه فى سرعة ورنت ببصرها للجانب الأخر فرات منطقة رملية فيما وراء الكتل الصخرية وبجوارها بركة مياه تفصل بينها وبين النهر بعض الأحراش.

بدا سطح البركة هدئا ومظهر الشمس المتلألئة على صفحة مياهها مغريا الى حد كبير. حينما توجهت ناحية المياه وجدت «باتش» يتسمر فى مكانه وقد انتصب شعره وأذناه وبدا يتراجع فى ذعر وتوتر، وفى اللحظة التالية أبصرت سيلينا راسا مسطحا يشبه راس الثعابين يظهر على سطح مياه البركة.

تجمدت سيلينا فى مكانها من الذعر وهى تشاهد الراس تستدير ناحيتها وترى عينين بارزتين ترمقانها فى قوة بينما تلوى تحت صفحة الماء ذلك الجسد الطويل القوى. يا إلهى!! إنها الأصلة! لماذا لم تاخذ تحذير لوك على محمل الجد؟! كادت انفاسها تتوقف... ودت لو استطاعت العدو

لكنها أحست بان قدميها ملتصقتان بالأرض...

اغمضت عينيها ووجدت نفسها تصيح فى ذعر،

- لـوك!!!

أجابها بصيحة جعلت الطيور تفر مذعورة من على الأشجار وهى تطلق صراخا فزعا، ثم سمعت وقع أقدام تجرى على الصخور. وجدت الشجيرات تهتز ثم أبصرت حجرا كبيرا يطير وينفجر فى البركة.

جذبها ناحيته وهو يقول،

- حسنا حسنا! اهدأى.

كانت أسنانها تصطك فى ذعر وقد ران عليها صمت بينما أخذت الأصلة تختفى فى الماء.

أجابته فى صوت مرتعش،

- كل ما اردت أن افعله هو أن استعد للرحيل كيف لى أن اعرف أن مثل هذا «الشئ» سيكون فى البركة!!

أجابها فى غضب،

- وذلك عين الغباء!! إن الأصلات تسبح فى المياه أيتها الحمقاء الصغيرة الغبية!! إنها قد انصرفت الآن إلى تلك الصخور والأشجار هناك على الضفة المقابلة. هيا اتبعينى سأجد لك مكانا بعيدا عن الخطر.

تبعته سيلينا فى خنوع وهى تغلى من داخلها لقسوته وغلظته معها.

www.elromancia.com

كانت تتعذب فى شدة لأنه انقذها للمرة الثانية. كان كل شئ يبدو جميلا وشاعريا لدرجة انها لم تتوقف لتفكر فى تحذيراته. إنه لن يستطيع أن يفهم ابدا انها كانت مشغولة بتخزين ذكريات جميلة وغالية من هذا الوادى الجبلى الرائع منظره حيث كانت تشعر بأنها خالية البال ومطمئنة لبضعة ساعات. إن الأصلة قد أعادتها فى قسوة الى أن تدرك أن الثقة ما هى إلا شئ تمتلكه قبل أن تعلم الأمور على نحو أفضل.

- لا تكونى متأكدة على هذا النحو!

وأوشكت أن تساله عن مقصده عندما أبصرت نارايان يعدو باتجاهها ويتساءل على حدث. أخذ لوك يشرح له الأمر ثم أخبرها لوك أنه سيغير ضمادات جروحها بعد أن تغتسل ثم انصرف الرجلان الى المخيم وتركاها وشأنها.

ظل «باتش» إلى جوارها ليبعث فى نفسها قدرا من الاطمئنان وأحست بأن الكلب يستمتع بصحبتها.

قالت سيلينا فى رقة:

- سأفتقدك كثيرا أيها الكلب الشقى!!

مسحت الدموع التى بدأت تتجمع فى عينيها وهى تحاول التغلب على ذلك الألم الحاد أخذها على غرة وجعل يطعن فى قلبها.

ها هو الأمل الذى تولد فى قلبها لا يلبث أن يموت فى مهده... كانت تطمئن روحها المروعة بأنها يمكنها الاعتماد على «لوك» وحمايته لها ولكن عما قريب سيفترقان ويمضى كل منهما فى طريقه. إن الفراق

قدر محتوم فلتصبر ولتواجه الأمر بشجاعة. ليس معنى أن «لوك فان مير» انقذ حياتها مرتين أن تصبح مربوطة إليه. إنه حتى شخص وقح وفظ ولم تستمتع بصحبته... لكن فكرة فراقه تؤلمها... لماذا بحق الله؟! حاولت اقناع نفسها أن ذلك ربما ربما يعود إلى انها ستضطر الى التصرف فى شؤونها بمفردها. لا لا لا. إن الأمر أكبر من ذلك !! إنها... إنها لن تراه مرة أخرى!!!

اقتربت سيلينا من الخيم فى حذر خشية أن يكون «لوك» ما زال غاضبا منها. كان يقف الى جانب النار وظهره إليها وعلى الموقد اناء وابريق للشاى يتصاعد منها البخار، بينما كان نارايان مشغولا بوضع جهاز ذى عدادات ومؤشرات فى غلاف بلاستيكى. تساءلت عما يمكن أن يكون هذا الجهاز ورأت المخيم قد انفض والسيارة الصغيرة قد حملت فعلا بمعدات التخييم... علامات الرحيل الذى يوشك أن يحدث!!! خطت سيلينا فى تردد نحوهما ثم تسمرت مكانها حينما وصل إلى سمعها حديثهما ولم يكونا قد لاحظا اقترابها...

لوك:

- لا أعتقد أن لديها من قدرة التحمل ما يكفى لذلك. قد تمرض أو تفعل شيئا آخر غبيا وتؤذى نفسها، ولا نستطيع تحمل المزيد من التأخر اذا كان تقرير «بالاسين» عن تحركاتهم صحيحة.

أجابه الهندى فى هدوء:

- ليس هناك بديل آخر يا لوك. سنضطر لقبول الكثير تفسيرا

www.elromancia.com

لوجودها معنا اذا أخذناها معنا الى «كالادونجى». لديهم طرقهم الماهرة فى تمرير المعلومات ونشرها لحماية مساراتهم، ولو تسربت كلمة واحدة عن تورطنا فى الأمر، سيتعرض عمل عدة شهور للخطر الشديد.

ربط الحبل ثم اعتدل قائما وأضاف،

- أى الخطرين أعظم يا صديقى؟

تجمدت الدماء فى عروقها وبدأت أطرافها ترتجف عندما سمعت لوك يقسم فى قسوة وحنق قائلا،

- لو كنت توقعت أن كل ذلك سيحدث لكنت تركتها فى احدى الاستراحات!! أيا كان صديقها المزعوم ذلك فهو يبدو مزعجا ومسببا للمشاكل ولديه المال الذى يبعثره فى كل مكان بحثا عنها، ولذا لن نستطيع شراء صمته أو إزاحته من طريقنا.

رفع «نارايان» يده وحك بها ذقنه للحظات مفكرا ثم أجاب قائلا،

- أتفق معك فى ذلك. ليس لدينا الوقت لاعداد خطط جديدة، لذا يجب علينا تدبر الأمر بأفضل ما يمكننا. يمكننا أن نستأجر حمارا أو بغلا لها لكى تركبه كلما أمكنها ذلك، ثم عندما يكف البحث عنها نستطيع ارسالها الى «رانيخيت» مع أكثر رجالى ثقة. «جوفيند سينج» سيكون...

زحفت سيلينا خلف بعض الشجيرات ونفسها تأمرها بالاختباء وهى تسترق السمع لحديثهما التى تستطيع فهم ما يرمى إليه. وجدت باتش يهرول نحوها من جانب النهر فربتت على أنفه فى لطف وأمسكت بطوقه، فاستكان الكلب الى جوارها فى هدوء.

كان قد فاتها جزء من رد «لوك» لكنها سمعته يقول،

- ... إزعاج حقيقى. تستطيع أن تراهن بأموالك كلها أن سبنسر لن يدع الأمر يستقر على ذلك. ستمتلأ الصحف ووسائل الاعلام باخبار اختفائها واذا تناثرت أخبار عن مشاهدة الناس لامرأة معنا سيتبعون آثارنا كالصقور ويقتفون خطانا ككلاب الصيد.

أجابه الهندى مؤكدا فى غموض،

- يتوقف ذلك على «من» هى المرأة التى معنا يا لوك. المرأة التى بصحبتنا هى زوجتك الشابة، أليس كذلك؟

صمت هنيهة ثم أضاف فى تأمل،

- كونها معنا قد يقوى من قصتنا يا لوك.

أخيرا قال لوك مقرا بالأمر،

- حسنا. أعتقد أن ذلك أهون الشرين!

- هل ستتعاون الفتاة معنا، فى رأيك؟

- دعها لى. لقد كنت من قرر اصطحابها معنا بالأمس وسأتولى المسؤولية.

تململ لوك فى مكانه ثم قال فى صبر نافد،

- إنها تأخرت كثيرا. سأذهب وأرى ما يحدث.

عندها انكمشت سيلينا فى مكانها فى ارتباك وتوتر. لقد فهمت مما سمعته من حديثهما أن شيئا ما قد حدث وأجبرهما على تغيير خططهما

أثناء الليل. لقد فهمت من كلامها أنهما ينويان ابقاءها معهما لكن إلى متى؟... وباى صفة؟ لماذا هم حريصون إلى هذه الدرجة إلا يعلم أحد من هم وماذا سيفعلون؟

ليلة أمس كادت تقفز فرحا عندما أتاحا لها الفرصة لتسافر معهما، منذ عشر دقائق فقط كانت ستشعر براحة كبيرة وسرور عظيم لو كان لوك عرض عليها أن يعتنيا بها لأطول ما يمكنهما.أما الآن... فقد أصبحت تتشكك فى نواياهما. بدأت أجزاء من حديثها تردد فى عقلها وتقرع أجراس حذرها. بدأت رأسها تؤلمها. ما هذا اللقاء السرى الذى كانا فى طريقهما إليه، والذى من أجله قررا أن يصطحباها معهما على أنها زوجة «لوك» للتغطية على غرضهما الحقيقى. وإلى أى مدى ستكون مضطرة لتمثيل دور الزوجة؟

- سيليـــا!!

كان دوى صوت «لوك» كقصف الرعد فطارت الغربان من على الأشجار مذعرة ولها صراخ بينما أخذت القرود تتصايح وتتقافز.

انتفضت سيلينا فى مكانها وهب «باتش» يترافص حولها. لم يعد هناك فائدة من الاختباء، ولا فائدة كذلك من الجرى. خرجت من مخبئها خلف الأحراش ووجدت أنه من الحكمة أن تلحق بالرجلين وتتظاهر بأنها لم تسمع شيئا من حديثهما. من يدرى ما قد يفعلان بها لو تشككا فى أمرها؟ سيكون من السهل جدا عليهما «التخلص» منها، ولن يعلم أحد بما صنعها.

خطا «لوك» نحوها قائلا:

- هيا بنا! لقد أزف الوقت!!

مد يده إليها ليمسك بذراعها فأحجمت مبتعدة عنه. وضع يده إلى جانبه وتفحصها بعينيه فى اهتمام قائلا:

- ما الأمر الآن؟!

أجابته فى تعال:

- لا... شئ. أتمنى ألا أكون قد أخرتكما.

رد لوك فى تهكم قائلا:

- أوه!! إذا فقد عادت «الآنسة روكسلى» بكبريائها وشموخها مرة أخرى! أما زلت غاضبة من تعنيفى اياك بسبب تلك الأصلة؟

- طبعا لا. إننى فقط... فقط...

شبكت أصابع يديها فى محاولة للتماسك ولاحظت الاهتمام يطفو على صفحة وجهه. اهتمام زائف طبعا! اهتمام محسوب بدقة لمحاصرتها!

أضافت بعد برهة فى تردد:

- حسنا، أعتقد أن رؤية تلك الأصلة قد أثر على أعصابى.

أجابها لوك فى هدوء وهو يضغط على حروفه:

- يبدو الأمر أكبر من ذلك، من نظرات عينيك. تبدين شاحبة مثل اللبن الرائب مع هذه البشرة المحروقة مثل سخام الموقد.

www.elromancia.com

ها هى وقاحته قد عادت إليه مرة أخرى!! عضت سيلينا شفتيها وأشاحت برأسها بعيدا عنه لتكتم غيظها.

لكنه أضاف فى رقة ولطف:

- عموما لم يكن هناك من خطر حقيقى عليك، حاولى نسيان الأمر كله. هيا تعالى وكلى شيئا. سأتفحص جروحك ورضوضك وأعالجها جيدا قبل أن نرحل. لدينا أنا ونارايان ما نقوله لك.

هل لديهما حقا ما يخبرانها به؟!

خطت تجاه النار ولكنها توقفت فجأة وصاحت:

- أووه!! ملابسى وأشيائى...

أجابها «لوك» بسرعة:

- حسنا حسنا اهدأى. هل تركتيهما حيث كنت تغتسلين؟

- لا. إنها هناك بالخلف. سأذهب لاحضرها. لقد أفزعتنى عندما ناديتنى فسقطت منى.

كانت تكذب بصوت متقطع الأنفاس.

أمسك «لوك» ذراعها فى قوة قبل أن تستطيع التحرك وهو يتمتم فى غضب:

- تفزعين كالأرانب المذعورة!!

ثم سحبها من ذراعها إلى حيث النار وأجلسها على الصندوق الذى فرغ

نارايان لتوه من تعبئته.

خاطبها قائلا فى حزم:

- سأذهب أنا لإحضار أشيائك. هيا، تدبرى أمرك بهذه..

والتقط اناء الفول وأعطاها إياه..

ثم تابع قائلا:

- احذرى، الاناء ساخن. خذى هذه الملعقة، كلى بها.

انصرف لوك لإحضار ملابسها بينما صب لها نارايان قدحا من القهوة السوداء الساخنة. عندما عاد لوك وقف هو ونارايان رغم أنها كانت مطاطأة الرأس وتجبر نفسها على أكل الفول. كان الصمت يعذبها وأخذ قلبها يخفق فى عنف ويضطرب مع اضطراب أفكارها.

ما معنى هذه النظرات؟ هل عندما وجد «لوك» ملابسها قريبة من المخيم، استنتج أنها كانت تتسمع لحديثهما؟ لقد كان نارايان هو الذى رأى أن البديل الوحيد هو اصطحابها معهما. لكن لوك... لوك كان معارضا للفكرة فى بداية الأمر وكان على نارايان اقناعه بها. لابد أنه كان يخطط لشئ آخر. مثل التخلص منها بهدوء مثلا؟ أو تركها فى الغابة لتتدبر أمرها بنفسها؟ هل سيغير رأيه مرة أخرى؟ هل نارايان قوى بما يكفى لمنعه من..

فجأة تجمعت كل مخاوفها وآلامها طوال الشهور السابقة وتحولت الى كابوس يقظة. أخذت يدها ترتجف فى شدة جعلتها لا تستطيع الامساك

www.elromancia.com

بالعلقة تيبس حلقها ولم تستطع ابتلاع الطعام. سقط الاناء من حجرها وتدحرج على الأرض. انتفض «لوك» واقفا على قدميه بجوارها يربت على كتفيها. أحست بانه يوشك أن يخنقها لكنه ابتسم فى ثقة ورفة...

طمأنها فى لطف قائلا:

- سيلينا؟ لا زلت مصدومة يا لينا! كان يجب على ادراك ذلك. إن الرعب الذى سيطر عليك قد صدمك وشتت صوابك.

أطلت سيلينا تحدق فيه فى شرود... «دعها لى». سمعت يقولها لنارايان منذ قليل. سيرغمها على التعاون معهما. ربما ببعض الحيلة، كهذا اللطف وهذه الرقة اللتين يتصنعها الآن!! «كيف علمت أننا لسنا مريبين؟!» لقد قالها هو بنفسه ذات مرة. إنها لن تثق به مهما فعل.

جلست سيلينا فى مكانها مرة أخرى بينما التقط لوك قدح القهوة وناولها اياه وظل يحدق فيها مقطبا جبينه. عندما رفعت القدح الى شفتيها كانت أسنانها تصطك بالقدح فاسرع «لوك» يعاونها فى ارتشاف ذلك المشروب الساخن الحلو الطعم. عندما تناول منها القدح ليضعه جانبا تفادت نظراته بأن حولت عينيها نحو اناء الفول لترى ما حل به بعد أن سقط من يدها. وجدت «باتش» يفترس حبات الفول ويلعق الاناء الفارغ.

أمسك لوك بمعصمها فى قوة ولكن فى لطف وجعلها تواجهه...

خاطبها فى نبرات هادئة وصوت عذب:

- اسمعى يا سيلينا، دعينى أوضح لكى بعض النقاط واعتقد أن ذلك سيرحك كثيرا. إن كنت تحملين هم عودتك الى انجلترا بمفردك فلا

تشغلى بالك بذلك. يمكنك أن تاتى معنا وعندما ننتهى أنا ونارايان من المهمة التى نحن بصددها سنعيدك الى بلدك فى أمان، دون مضايقة من «سبندر» هذا أو أى شخص آخر. ستكون رحلة جميلة صعبة وشاقة. سيكون الطريق شاقا ومتعبا. سيكون عليك التحمل والتحلى بالصبر. لكننا نعتقد أنك ستفلحين فى ذلك. هه... ما رأيك؟

ماذا يتوقع منها؟ هل يتوقع أن تتقافز فرحا باقتراحه؟ نزعت سيلينا معصمها من قبضته فى حزم.

كانت ترتجف من داخلها ولكنها أجابته قائلة:

- حسب الظروف.

ثم أضافت فى برود:

- ما هى بالضبط هذه المهمة التى أنتما بصددها؟

انعقد حاجبا «لوك» فى دهشة وكأنها سألته سؤالا وقحا:

- ليس هذا شأنك. لا يمكننا مناقشة ذلك معك.

انتفخت أوداجها غضبا وسألته:

- ولم لا؟

نهض واقفا وهو يقول فى حزم:

- إن الأمر يتعلق بالسلامة، وبالحفاظ على أرواح بعض الناس يا سيلينا.

أجابته فى احتقار:

www.elromancia.com

- تقصد روحك أنت على ما اعتقد... وربما روحى انا أيضا اذا رفضت.

بادرها قائلا،

- بشكل غير مباشر. لكن الأهم أرواح أناس آخرين. بعضهم لا يمكن تقويمه، وبعضهم ساذج، ولكن معظمهم صغار وطائشون مثلك.

كانت لهجته جادة وايجابية ومقنعة لدرجة جعلتها ترفع رأسها إليه فى حيرة وتقول فى تلعثم،

- لكننى... لا افهم.

- ليس عليك أن تفهمى، لكن عليك أن تصدقى. نحن نضيع وقتنا هنا يا سيلينا هل ستاتين معنا أم لا؟

عاودتها حيرتها وارتباكها مرة أخرى، وتذكرت أن هذا الرجل قد أنقذ حياتها مرتين بالفعل. كيف يمكن لها أن تكون من الحمق لدرجة تجعلها تنسى ذلك وتتخيل أن يؤذيها؟ كيف لها أن تشك فى نزاهته؟

لكن... لكنها لا تكاد تعرفه. ربما تكتشف أنه مجرد وغد متشرد. إن تبريراته الغامضة لا تعنى شيئا بالمرة. إنها تبدو لو كانت مهمة سرية كالتى تشاهدها فى أفلام الاثارة والرعب... وهكذا ظلت على حيرتها وريبتها فى نواياه.

عقفت ذقنها وزمت شفتيها وسألته،

- هل لدى خيار؟

بادرها فى تهكم،

- بالتاكيد، فإما أن تجربى حظك معنا. أو تعودين إلى هذا المدعو هنرى سبندر.

- وماذا لو قررت ألا اقبل أيا من الخيارين؟

- لسوء الحظ يا آنسة روكسلى فليس لديك أية خيارات أخرى.

- تأملها فى للحظات ثم استدار ناحية ناريان وتبادل معه بعض النظرات ثم هز كتفيه فى استسلام والتفت إليها مرة أخرى قائلا،

- حسنا، افعلى ما شئت. سنتركك بالقرب من «كالادونجى» وعليك أنت مواصلة طريقك قدر استطاعتك الى أن يلحق بك سبندر.

رمقته بنظرة تحدى قائلة،

- لا تشغل بالك. فقط أعطنى سيارتى وارشدنى إلى الطريق لأقرب قرية.

قاطعها نارايان قائلا،

- لا توجد قرى على الطريق من هنا الى كالادونجى.

- تفحصت وجهه ووجه لوك وهى تجيبه فى دهشة،

- لا بد أن يكون هناك بعض القرى! لقد سمعت صياح الديكة هذا الصباح. الناس هم الذين يربون الدواجن. لابد أن القرى ليست بعيدة....

فهقه لوك ضاحكا،

www.elromancia.com

- إنها الديوك البرية أيتها المغفلة الصغيرة! ألا تعلمين أن كل الدواجن البرية فى كل أنحاء الأرض انما نشأت من ديك الأدغال الهندى الضئيل القوى؟

- أووه!!

أحست بالخجل الشديد من نفسها. حتى نارايان كان يبتسم!!

حاولت أن تتدارك الأمر قائلة فى شجاعة مصطنعة:

- لست دائرة معارف متجولة مثلك! حسنا حسنا، إلى كالادونجى اذ أجابها «لوك» فى تلذذ:

- فى هذه الحالة مضطرون لأن تخبرك بأن الموقف قد تغير. إن هنرى سبندر قد أغلق طرق الفرار أمامك. لقد عاد إلى دلهى وقلبها راسا على عقب بحثا عنك. لقد أبلغ الشرطة وكل محطات القطار المحيطة وعرض مكافأة سخية لمن يرشد عنك. إن كل أقسام الشرطة المحلية وكل محطات القطار فى هذه الأنحاء تسعى وراءك. لا نستطيع مساعدتك لأبعد من ذلك الآن. إنها مسألة وقت، مجرد ساعات قليلة ويطبقون على عنقك.

سألته غير مصدقة:

- قد أكون مغفلة يا «لوك» لكن ليس إلى هذا الحد! كيف أمكنك أن تعرف كل ذلك.

- ما رأيك أنت. طبعا ليس عن طريق ارسال اشارات الدخان.

أجابها نارايان فى هدوء:

- لدينا من يخبرنا بالراديو يا آنسة روكسلى. إن وظيفته أن يبقينا دائما على علم. إن لوك يخبرك بالحقيقة بكل أسف.

بالراديو؟ أكيد لقد رأته قبل ذلك. إنها تجلس عليه الآن!! هبت واقفة على قدميها وكأنما لدغتها عقرب وظلت تحدق فى الرجلين فى ذهول وحيرة. ليس لها من صديق ولا رفيق ولا منجد!! كان الوقت أكثر مما تحتمل... هذين الغريبين يتحايلان للوصول إلى غاية سرية قد توقعها فى المشاكل قبل أن يتخلصا منها، وعلى الجانب الآخر هناك هنرى وديليا ينتظرانها ويتوعدانها....

أجلسها لوك مرة أخرى فى رقة على الصندوق وظل يحدق فى عينيها بنظرات هادئة ومطمئنة إلى خف توترها قليلا. كان كأنما قد أحاطها بجدار واقى...

سألها فى لطف:

- ماذا قررت يا سيلينا؟

أجابته فى صوت لا يكاد يسمع:

- سأذهب.

- إلى كالادونجى ام معنا؟

أطرقت رأسها وتنهدت قائلة:

www.elromancia.com

- معكم.

٤ ـ قطن الحرير

امتلأت نفس سيلينا بالاثارة والترقب وهى تجلس الى جوار لوك فان مير فى السيارة مرة أخرى. اثارة مفعمة بالفرح!! اثارة لا تكاد تصدقها سيلينا بعد المحن التى عانت منها ذلك الصباح، الأن كف عقلها عن موازنة الصواب والخطأ فى هذه المغامرة المثيرة الغامضة، مفضلا أن تينع ما قد تقضى اليه فى نهاية المطاف. الهروب فى نهاية المطاف الى غابات الهمالايا مع عجائب أضخم الخيال واكثرها جمالا، وحريتها فى التعبير عن نفسها كيفما شاءت... انها توابل المغامرة!!

لقد كانت دائما «فى فزع» مع هنرى وديليا. والآن وفجأة لم تعد خائفة من «لوك» ولا من «نارايان».

كان لوك قد ناولها علبة أخرى من الفول المطهى قبل أن يغادروا المخيم، وتناولت «فطورها» هذه المرة باستمتاع ونهم شديدين. كان لوك قد جلس الى جوارها وأخذ يغير ضمادات جروحها ويميل وجهها بيديه ويضغط فى رفق على عينيها المتورمة...

خاطبها لوك مازحا،

- شكلك مثل مهرجى السيرك هذا الصباح. مع هذه البقع الشمسية على وجنتيك والدوائر الزرقاء حول عينيك.

كادت تنفجر فيه صائحة لكنها ادركت فجأة انه ربما كان محقا، إنها لم تبال بالنظر فى المراة او وضع بعض المساحيق على وجهها. نظرت اليه فى غطرسة وتعال ولكن كانت هناك ابتسامة تسلل الى شفتيها رغم عنها...

ضحك لوك فى خفة قائلا،

- دعيها تخرج يا سيلينا. لن تؤذيك ابتسامة. آسف لأننا لا نستطيع عمل شئ حيال عينيك المتورمتين، لكن سيخفف الورم بمرور الوقت.

جلست تراقبهما وهما يفكان المخيم ويطفئان النار ويملآن خزنات السيارات بالوقود. نهضت من مكانها ليحمل «لوك» معدات الراديو ويضعها على السيارة، ثم تبعته الى السيارة.

اقترحت عليه فى تردد،

- سأقود أنا الجيب... اتفقنا؟

- مستحيل! السيارة لك يا آنسة روكسلى!

كان مشغولا فى ربط الحاجيات بالحبال على السيارة.

تناول طرف الحبل من نارايان وأضاف،

- لا نود رؤيتك مرة أخرى تقودين بتهور وتصطدمين بشئ آخر عندما نصل الى الطريق الرئيسى.

أجابته فى صوت محتبس من شدة الغضب:

- لكننى لن افعل ذلك! لقد عرضت عليك ذلك لأننى ظننت اننى يجب أن أساعدكما ولو فى قيادة السيارات على الأقل!!

- حسنا، أصدقك. لكن هناك أسباب أخرى. عندما تركبين الجيب ستكونين هدفا سهلا لكلاب «سبندر» اذا صادفنا أيا منهم فى الطريق. أما فى السيارة فستكونين فى مأمن من أشعة الشمس الحارقة وأقل جذبا للانتباه.

وأخرج من حقيبته القماشية سروالا قطنيا قصيرا ثم قطع منه شريطا... ناولها اياه قائلا:

- هيا... اربطى هذا فوق رأسك ليخفى شعرك.

- لدى وشاح حريرى ممتاز أفضل من هذه «النفاية»!!!

زمت شفتيها فى امتعاض الى أن راته يقول فى سخرية:

- ويمتاز كذلك بسهولة تميز انه يخص سيلينا روكسلى، اليس كذلك؟ قد لا تكون هذه «النفاية» أنيقة، لكنها نظيفة، وشائعة كذلك. هل لديك نظارة شمس، جميل. ارتديها كذلك، لكى تحمى عينيك.

فعلت ما أمرها به وهى تشعر بمتعة خفية لحريتها فى ابداء رايها متى شاءت حتى ولو لم تفز فى أى نقاش مع لوك! إنها ما كانت لتجرؤ

من قبل على مناقشة هنرى وديليا فى شئ... اى شئ!! بل كانت تلجأ الى الغرور والتعالى عليهما لتخفى فيهما خوفها وخنوعها. لقد كان إحساسا رائعا!! أن يكون مسموحا لها بالصياح والصراخ متى شاءت!!

وها هى الآن تجلس فى خضوع فى السيارة بجوار لوك فان مير وقد وارت شعرها بعصابة من سرواله القديم لفتها على رأسها وربطتها تحت ذقنها، والسيارة تمضى تترجرج فى طريق قديم مخصص لعربات الأخشاب ويخترق الغابات الكثيفة الى مساحات شاسعة مكشوفة تتناثر فيها الأحراش والشجيرات القصيرة والحشائش، ثم الى قلب غابة أخرى من الأشجار الطويلة السامقة التى تساقطت عليها أشعة الشمس وتسللت منها خيوط الذهب الى قارعة الطريق... كان ناريان قد انطلق قبلهما بعشر دقائق كاجراء احتياطى، وبدت مع لوك وحدهما فى السيارة وكانهما قد انعزلا عن بقية العالم...

كانت سيلينا، على عكس يوم أمس، تحس بالنشاط والتيقظ وتجلس مستجيبة بكل حواسها لهذه الألوان الثرية والتى تميز تلك الأدغال التى تموج بالحياة وبالحيوية. كان لوك يحس بمدى الاثارة التى تشعر بها سيلينا فكان يبطئ السيارة من حين لآخر ليشير لها على بعض الحيوانات او الأشجار ويجيب على اسئلتها بروح متفتحة ونفس صافية.

تلك الأشجار هناك ذات الورود القرمزية تسمى «لهيب الغابة». أما هذه النباتات المتسلقة هناك ذات الأزهار البنفسجية فاسمها «بوهينيا».

شبكت أصابع يديها فى قلق وسرت قشعريرة فى جسدها وهى تسأله:

www.elromancia.com

- هل تعتقد اننا سنقابل احد النمور؟ فى انجلترا لا نراها الا فى حدائق الحيوان، ورأيت بعضها فى سيرك ذات مرة، عندما كنت طفلة، كانت الحيوانات المسكينة الأسيرة تزار وتؤدى بعض الحيل عندما تسمع فرقعة السياط! لكننى أعتقد أنها لن تكون بمثل هذا الجبن هنا فى الغابة حيث بيتها.

- لا أعتقد اننا سيحالفنا الحظ الى هذه الدرجة يا سيلينا. إنها نوع مهدد بالانقراض. لم يتبق منهم على ظهر الأرض إلا أقل القليل. ولحسن الحظ يتم حمايتها الآن وهناك بعض المخلصين الذين يحاولون زيادة اعدادها. ربما تستطيع حدائق الحيوان هذه ومتنزهات السفارى أن تساعد بأن تربى أشبالا قوية ثم يتم اعادتها الى هنا حيث سكنها الطبيعى. بعد ذلك قد تفعل الطبيعة فعلها وتتزايد الأعداد. مهمة طويلة وشاقة للحفاظ على حياتها ولكنها تستحق ذلك الجهد!!

وافقته فى حماس:

- نعم! طبعا. ويمكننا أن نساعد نحن أيضا بالتبرع بالمال لبرامج الحفاظ على الحياة البرية... فقط لو كنت استطيع...

وخفت صوتها...

ساد الصمت بينهما لحظات الى أن شاهدا قطيعا من القرود تريد أن تعبر الطريق فتجمعت على الأشجار تتصايح فى غضب وهى تشير ناحية السيارة، ثم فرت الى داخل الغصون الكثيفة كان منظر القرود مألوفا بالنسبة لسيلينا...

قال لها لوك موضحا:

- إنها قرود الريسوس التى تستخدم للتجارب فى الغرب. إنها من نوع «بندر» الموجودة فى كل السهول وسفوح التلال سترين المزيد من هذه القرود.

لكن الاثارة وصلت الى ذروتها عندما سمعت سيلينا صوتا يشبه صياح الديكة النزلية من نوع البنطم.

استدارت الى لوك صائحة فى اثارة.

ابتسم لوك قائلا:

- هناك! وسط هذه الحشائش الكثيفة. انظرى بسرعة والا لن تريهم.

وابطأ السيارة فبدت وكأنها تزحف.

تقافزت ديكة الأدغال هاربة كنها استطاعت أن تلمح عرف احدهما بلونه الأسود. ضحكت سيلينا من كل قلبها... ليس فقط لأنها اكتشفت كم كانت مخطئة ذلك الصباح، ولكنها ضحكت أيضا من فرحة اكتشاف الجديد والمثير. تطلعت بعينيها من النافذة على أمل أن تفوز بنظرة أخرى الى هذه الديكة الجميلة... ارتدت نظاراتها مرة أخرى وهى تقول فى حبور:

- ديوك!! كما لو كان يخرج من القصص الخرافية الجميلة. لقد كان جميلا ورائعا.

تغيرت نظرات السخرية فى عينيه وارتدى وجهه رداءا من الجدية

www.elromancia.com

مرة أخرى وهو يقول لها فى لهجة جافة:

- لن يكون هذا رأيك اذا رأيت برائنه التى تشبه الكلابات الحديدية. إنها مميتة فى صراع الديكة. إنها «الطبيعية حمراء السن والمخلب» كما قال الشاعر تنيسى يوما ما. لكنها كلها دورة واحدة عظيمة من التكافل والاعتماد المتبادل تثرى عالمنا. إلى أن ظهر الانسان على الساحة واخل بالتوازن الطبيعى تحقيقا لأطماعه ونزواته.

تنهدت وهى تجيبه قائلة:

- أعتقد انه من المستحيل حماية الحياة البرية تماما من الوحوش «البشرية»... إننى أدرك شعورك الآن.

تخففت الغابة شيئا فشيئا من ظلال الأشجار الكثيفة وهما يخرجان الى سهل فسيح مكشوف تملؤه الأحراش والنباتات الصحراوية وتغمره الشمس بأشعتها المبهرة. أطبق الصمت عليهما. اختلست سيلينا نظرة بطرف عينيها اليه وتساءلت عما يمكن أن تكون قالته وأغضبه الى هذا الحد. لمحت أصابعه تقبض على مقود السيارة فى قوة وعنف كما لو كان يكتم غيظا يكاد ينفجر منه أو يود لو أطبق بيديه على عنق أحد.

ظل صامتا لدقيقة كاملة ثم قال:

- إن رغبتى أقوى فى حماية أرواح البشر من «الوحوش» ذات القدمين التى تفترسها.

وضغط بقدمه على دواسة السرعة فى عنف.

شعرت سيلينا بالارتباك والحيرة ولم تجد ما تقوله. كان فى صوته القوى شيئا جعلها تحس انه لم يكن يتكلم بشكل عام. ترى فيمن كان يفكر على وجه الخصوص؟ هل كان يقصد بكلامه تصرفات هنرى؟ أمن أجل ذلك وافق على اصطحابها معهما رغم ما فى ذلك من الخطر؟ حكت جبهتها بأناملها فى حيرة. بالطبع لا. إن لوك ليس ملما بظروفها الخاصة بما يستثيره الى هذا الحد، كما أن حماية الأرواح البشرية هدف اكبر من أن ينحصر فى فتاة واحدة حقيرة الشأن مثلها لم يقابلها الا منذ يوم واحد.

إذا عم كان يتحدث؟ «وحشية» من تلك التى أثارته وجعلت منه خصما لدودا له؟ أيا كان الظلم الواقع، فقد أثار غضب «لوك» الى درجة جعلته يعده ثأرا شخصيا له. لقد أدركت ذلك ببديهتها وادركت الآن أن رحلتهم لها علاقة بهذا الثأر.

لكن ما الذى يمكن أن يوجد فى أقاص الهمالايا ويستحق الحرب من اجله؟ ما الذى يمكن أن يكون ذلك الغرض السرى؟ نظرة واحدة الى ملامحه الجامدة كانت كفيلة بواد ذلك السؤال التى تمنت لو سألته. رات قبضته على المقود تخف ويديه ترتخيان ويزول عنه التوتر، وعنها كذلك، لكنها لا يمكن أن تتنبأ بما يمكن أن ينقلب اليه مزاجه مما جعله تحجم عن استكمال حديثها. وظلت سيلينا تتردد فى حيرتها.

تدحرجت السيارة الصغيرة القوية فى درب ضيق يخترق دغلا من الحشائش الطويلة العملاقة ثم خرجت الى طريق تملؤه آثار السيارات

حيث أطلق لها «لوك» العنان، ربما ليعوض الوقت الذى أضاعوه فى التلكؤ وسط الأدغال. صادف فى طريقهما شاحنة ذاهبة فى الاتجاه المعاكس فانكمشت سيلينا من فورها فى مقعدها ثم أدركت من بعدها أنها فى عالم آخر غير الذى تعرفه رغم قلة وندرة سكانه، وأنها عما قريب ستكون فى حاجة لإخفاء شخصيتها الحقيقية. من الغريب أن لوك لم يكن ذكر لها حتى حينها أى شئ عن خطتهما لإخفاء حقيقتها، سعلت عندما اجتاحت السيارة عاصفة من الغبار أثارتها الشاحنة أثناء مرورها بجوارهما.

ألقى لوك نظرة مرحة قائلا:

- بضعة أميال أخرى من السير فى الطرق الوعرة ونرتاح قليلا. قليل من الغبار الجميل على زيت الشمس يصنع ببشرتك الأعاجيب.

ما الذى يمكن أن تتوقعه غير ذلك من هذا الحيوان عديم الحس!! أخذت تعبث فى جيوبها بحثا عن منديل. مد يده وأخرج لها منديلا ورقيا كبيرا من تابلوه السيارة وناولها اياه. مسحت وجهها وفمها وهى تحمد الله أن نظارة الشمس قد وقت عينيها من هذا الغبار المؤذى. لاح لهما على البعد خيالين قرب جانب الطريق وعندما اقتربا منهما أدركت سيلينا أنهما امرأتان قرويتان ترتديان رداءين أبيضين يشبهان ملاءات السرير اكثر من شبههما بزى «السارى» الذى ترتديه الهنديات المتحضرات. كانت المرأتان تسيران فى طابور واحد احداهما خلف الأخرى، وكانت المرأة التى فى المقدمة تحمل فوق رأسها سلة، والى خلفها

تسحب بقرة خلفها. أبطأ «لوك» السيارة وأطلق نفيرها فى حدة. بعد ذلك بدقيقة- ولدهشة سيلينا- اندفعت المرأتان تعبران الطريق كالأرانب المذعورة، تاركين البقرة على الجانب الآخر. عندما مرت بهما السيارة حياهما «لوك» بابتسامة ردا عليهما بأن سحبا غطاء رأسهما ليواريا به وجهيهما.

وبخته سيلينا فى غطرسة:

- جيد أنك أبطأت السيارة، لكن لماذا أطلقت نفيرها بهذه الحدة! لابد انه قد جعل الدماء تتجمد فى عروقهما ليجريا بهذه الطريقة الغبية عبر الطريق فى آخر لحظة!! أعتقد أنهما لم تتعودا رؤية الكثير من السيارات هنا، هاتين المسكينتين!!

ترافصت نظرات السخرية والمتعة فى عينيه وهو يجيبها قائلا:

- ما زال أمامك الكثير لتتعلميه أيتها الآنسة المتغطرسة!! قد تكونان قرويتين فلاحتين فى نظرك، لكنهما ليستا غبيتين بأى حال من الأحوال. إن الشاحنة تثير غبارا يمتد للخلف لمسافة ميل، ويبدوا أنهما لم ينلها ما نالنا من الغبار لذا، فعندما سمعا صوت نفير السيارة نظرتا لتحددا اتجاه الرياح ثم عبرتا الطريق لتتفاديا عاصفة الغبار التى ستثيرها سيارتنا. ما إن يستقر الغبار مرة أخرى ستنطلقان ثانية.

انكمشت سيلينا فى مقعدها فى خجل قائلة:

- أووه.

بادرها فى مرح قائلا:

- هيه!! تجاهلى الأمر ولا تكتئبى، على الأقل لقد كنت مهتمة بسلامتهما وكان قلبك فى المكان الصحيح.

ثم سألها بغتة:

- كم عمرك بالتحديد يا سيلينا؟

أجابته فى لهجة خشنة:

- سابلغ الثامنة عشر خلال شهر.

- رباه!! إنك قاصرة!! لم يخطر ببالى مطلقا! كنت أعتقد أنك كبيرة بما يكفى...

قاطعته فى حدة وأنفاس متهدجة:

- بما يكفى لماذا؟

- لاتخاذ قراراتك بنفسك. يوم أمس بدا الأمر مغامرة محسوبة، أن نساعد امرأة شابة فى مأزق. أما الآن فقد انقلب الأمر الى كوننا نساعد قاصرا هاربة من ولى أمرها. وربما كان أسوأ! تغرير بقاصر، اختطاف... سمه ما شئت، يمكنهم اتهامنا بذلك بعد هذه المغامرة الصغيرة. لماذا لم تخبرينى بأنك قاصرة؟

أخفت سيلينا قلقها وراء مسحة من الحنق المتصنع:

- ولماذا لم تسألنى أنت؟ إنك أنت أبو العريف الذى فتش حقائبى واطلع

على جواز سفرى وتعرف على بياناتى.

أخذ القلق يتجمع الى عقدة داخلها.

- ولذلك نظرت فى الجواز ورأيت تاريخ الميلاد، لكن من الذى لديه الوقت الكافى ليستنتج انك ستبلغين السن بعد شهور؟ لقد كنت ملقاة فى الأدغال فى حال يرثى لها، هل تتذكرين؟ وشكلك أكبر من سنك.

- حسنا حسنا. أشكرك على هذه الكلمات «الرقيقة المهذبة»!!

- اهدأى يا سيلينا! فات أوان التشاجر من أجل ذلك. الأهم فالهم. علينا الامساك بأطراف كل الخيوط ثم محاولة حلها فيما بعد.

اجتاحها موجة من الارتياح وأخذت تمسح العرق الذى غمر جبينها بيديها.

كان متأكدة من أن رد فعله على اكتشاف حقيقة كونها قاصر سيكون عنيفا، لكن كيفية هذا العنف غير واضحة فى عقلها، لكن موقفه أطاح ببعض الثقة التى ما صدقت أنها قد اكتسبتها حتى الآن.

قال لها لوك فى تفكير عميق:

- سيحاسب «سبندر» نفسه على الكثير. اكراه فتاة قاصر على الذهاب معه الى مكان منعزل وافزاعها وترهيبها بهذه الطريقة. وربما يستطيع الأفلات من ذلك. ما هى السن القانونية للموافقة فى انجلترا، ستة عشر عاما؟ شئ غريب حقا، بل هو فى غاية الغرابة!! فمن الناحية القانونية ما زلت حدثاً، لكنك كبيرة بما يمكن لأغوانك اذا أمكن اقناعك

www.elromancia.com

أو اكراهك على الموافقة!!

أجابته فى تردد،

- لقد مارس ضغوطه على... كلاهما فعل. كان على أن أحارب لأمنعه، لأمنعه من... من. تعلم ما أقصد. لقد كان قذرا حقا،

- لكنه يعلم أن الرضا والغضب شئ آخر.

- لن أعود أبدا إليهما... مهما حدث. سأقتل نفسى قبل أن أعود إليهما

لكنها سرعان ما فتحت عينيها لتجد السيارة تسير فى ترنح على درب آخر من الدروب التى تستخدمها عربات الأخشاب ويخترق غابة من أشجار الصل ثم يسير كتثاقلا حتى ينتهى متعامدا على ضفة قناة. وعلى الجانب البعيد من القناة كانت هناك رقع من الأراضى والممرات بألوانها البنية والخضراء والصفراء، وحديقة غناء من أشجار المانجو ذات الأوراق الداكنة اللون، وفيما وراءها تظهر جزاء من حوائط وأسوار مخيفة خلف هذه الأشجار، وربما كانت تلك هى القرية التى جاءت منها السيدتان اللتان قابلتهما فى الطريق.

كانت الشمس عالية ومستعرة وأصبحت السيارة الصغيرة مثل الفرن. مالت سيلينا فى مقعدها للأمام واحست بالقفطان القطنى الذى ترتديه يلتصق فى ظهرها من شدة العرق. وأقف لوك السيارة تحت ظلال إحدى الأشجار الوارفة.

فتح باب السيارة ليمح لبعض الهواء بالدخول وسألها،

- هل تريدين شرابا؟ عصير ليمون وماء؟

أومأت برأسها وأشاحت بعيدا عنه. ولا بد انه أخطأ فهمها وظنها تتعالى عليه...

خاطبها فى تهكم وهو يمط حروفه،

- تقبلى اعتذارى، لأننى لم أجهز لك سيارة ليموزين مكيفة!!

قالت سيلينا فى تأفف،

- إن الجو حار رطب اليوم! أليس كذلك؟

- كذلك!!

ارتسمت ابتسامة باهته على شفتيه وهو يجلس فى ظل السيارة ويمد ساقيه الطويلتين ويستند بظهره الى باب السيارة المفتوح قريبا من قدميها. أخذت ترتشف مشروبها ورنت ببصرها الى القناة والقرية البعيدة والأشجار، و...، وظاى شئ إلا «لوك»!! ودت لو استطاعت ان تضيف شيئا لكنها لم تجد ما تقوله. كان حضوره طاغيا!!

تظاهرت بتأمل الزهور الكثيفة الشمعية للشجرة التى كانا يجلسان فى ظلها وسألته،

- إنها شجرة رائعة يا لوك ما اسمها؟

أدار رأسه لينظر الى الشجرة وأجابها،

www.elromancia.com

- إنها شجرة «السيمول». أى قطن الحرير.

أجابته فى دهشة:

- كنت أظن القطن ينمو على الشجيرات الصغيرة. بينما تعيش ديدان القز على أشجار التوت.

أجابها فى كسل وخمول:

- ولا واحد منهما. هذه الشجيرة تطرح قرونا مليئة بزغب القطن الذى يشبه الحرير. وهو مفيد جدا لكن لا يمكن غزله بالطريقة المألوفة. هل سمعت عن شئ يسمى «الكابوك». إنها هى الخيوط التى تغزل من هذا الزغب. كانوا يستخدمونه فى صنع المراتب والوسائد وأطواق النجاة وحقائب النوم كذلك. إنه لا يمتص الماء، لذا فهو ممتاز فى عزل الحرارة بالداخل وحجز الرطوبة فى الخارج.

استرخى قليلا فى مقعده ثم أغلق عينيه مضيفا:

- هل أنت جائعة؟

أحست بالخمول يتسلل الى بدنها وأجابته:

- ليس كثيرا. إن الجو شديد الحرارة!!

- إذا فسنرتاح لعشر دقائق إضافية قبل أن نواصل طريقنا.

عادا الى الطريق الرئيسى مرة أخرى وراحت سيلينا فى قيلولة قصيرة عندما أفاقت منها وجدت أنها لم تفدها كثيرا فى التخلص من الارهاق الذى حل بها. لم تكن تعلم سوى القليل عن الدوافع الحقيقية

«للوك» ولا نيته تجاهها. وكانت تعلم أقل من ذلك عن مدى قدرتها على مقاومته لو أراد بها سوءا.

طال الصمت بينهما طويلا ولاحظ لوك تجهمها وتغير مزاجها...

قال لها دون أن يرفع بصره عن الطريق:

- وحده الله الذى يعلم ما الذى عكر مزاجك فجأة هكذا يا آنسة روكسلى!! لكن إن كنت قد توصلت فى النصف ساعة الأخيرة - بتقلب الطباع الذى يميز النساء- أن الظروف هنا قد لا تناسبك، فعليك أن تتذكرى أنك اخترت ذلك بنفسك عندما هربت فى الجيب. إن المزاج العكر لن يغير من الأمور شيئا. لذا حاولى التكيف على ظروفك الجديدة.

كان داريان فى انتظارهما فى ظل مجرى مائى جاف على مقربة من درب جبلى. أسرعت سيلينا تخرج من السيارة وتتمطى لتفرد عضلات ساقيها وذراعيها التى ألمتها من طول الجلوس فى السيارة. أقبل الكلب نحوها يعدو فى فرح يهز ذيله وكأنه يرحب بقدومها. ضحكت والدموع تترقرق فى عينيها وأخذت تربت على ظهره وتداعبه.

سمعت لوك يقول:

- أعتقد أنه منذ أن عثر عليك وسط الحشائش وهو يظن أنك تخصينه. لم أره يألف أحد كما يفعل معك.

التفتت سيلينا فأبصرته وناراين يراقبان مشهد الاستقبال الرومانسى ذلك وملوء عينيهما الفرح والمتعة.

www.elromancia.com

انتصبت تدافع عن نفسها قائلة:

- لم أقتن كلبا فى حياتى. ولكنى أحبه.

- حسنا حسنا. لا تغرمى بهذا القمئ الذى تملؤه البراغيث.

قالها لوك فى لهجة فظة غليظة ذكرتها بانها يجب ألا تطمئن ابدا الى مزاجه.

أجابته فى تعال:

- لن أفعل.

وانسحبت مبتعدة عن كلا الرجلين وهما يشرعان فى اعداد المخيم. كان رأسها قد بدأ يؤلمها بدنيا ونفسيا بشدة. أسرعت تتناول دلوا مملوءا بالماء وتغسل وجهها وتناولت القرص الذى أعطاها «لوك» اياه ثم تلف نفسها فى بطانية وتدير ظهرها للنار وهى ترتعد. فى هذه الوديان الجبلية تنخفض درجات الحرارة كثيرا أثناء الليل.

كانت تعلم أن الرجلين قد نقلا معدات اللاسلكى بعيدا، إلى أسفل الخندق الصخرى، ولم تكن هناك من أصوات قريبة تطمئنها، فقط صرير الجراد ونقيق الضفادع!! لقد كان يوما عصيبا تقلبت فيه عواطفها كثيرا، ولم تكن على وشك تبين حقيقة ما يدور حولها ولا ما ينتظرها. بدأت الأقراص تفعل مفعولها. خفت الصداع فى رأسها وأخذت تقلصات عضلاتها تخفت ثم... نامت!!

٥ ـ ليس الآن

استيقظت سيلينا صباح اليوم التالى بعد اثنتى عشرة ساعة من النوم العميق الهادئ، ووجدت نفسها أصح بدنا وأهدأ نفسا وكان نصيحة لوك لها بالتكيف مع ظروفها الجديدة قد فعلت فعلها فى عقلها الباطن. تمطت وسرت عضلاتها رعشة جديدة إذ أخذ عقلها يقيم الموقف الذى أصبحت فيه.

كانت تمر بنقطة تحول فى حياتها وكان عليها أن تتقبل ما يحدث لها. ولم تجد سببا أيا كان للامتناع عن التكيف مع ظروفها الجديدة وان تستمتع وتستفيد بكل ما تمر به قدر ما تستطيع.

ما اسم هذا الموقف الجديد التى قررت اتخاذه؟ .. هل هو المفهوم الأوربى «المقدر»؟ مدت يدها من فوق السرير تبحث عن خفيها ووضعتهما فوق الأرض الصخرية ثم ألقت بساقيها على الأرض وانتعلتهما. إنها «قسمتها»!! كان هناك شئ قدرى فى كل ما حدث، تزامن قرارها بالهروب مع وصول «لوك» وناريان الى المحمية، إنه القدر الذى أتى بهما فى اللحظة المناسبة لانقاذها، وما آلت إليه الأمور بعد ذلك واضطرارها

www.elromancia.com

لرافقتهما فى حملتهما الغامضة فى قلب الجبال... نعم إنها «القسمة والنصيب».

أما بالنسبة «للوك» نفسه... أزالت سيلينا ستارة الناموس وطوت البطانية فى عناية وهى تقلب الأمر فى رأسها. إن لوك فى كل تعاملاته معها حتى الآن، سواء كان فظا أو ودودا أو ساخرا متهكما، لم يحاول استغلال أزمتها وليس هناك ما تخشاه منه. هكذا استنتجت سيلينا وهكذا تنامى ادراكها لحظة بعد أخرى...

إن الذنب ذنب «هنرى» ولا أحد غيره... هو الذى شوه كل أفكارها يجب أن تبذل مزيدا من الجهد مع نفسها حتى تسوى هذه المسألة وتستعيد طريتها الطبيعية فى التعامل مع الناس... ليس كل الرجال مثل هنرى، ولا كل النساء مثل ديليا. ها هو «لوك» أصدق و«أجمل» مثال على هذا...

رفعت سيلينا باب الخيمة وخطت خارجة لتكتشف أن المخيم كله قد انقض فيما عدا خيمتها هى وبقايا نار المخيم. كانت الشمس تتوسط كبد السماء وكان «نارايان» قد انصرف يصحبه «باتش». أبصرت «لوك» محنيا فوق مقدمة السيارة منهمكا فى فحص المحرك.

نادته فى صوت أقرب الى العويل:

- لوك!! لقد تماديت فى النوم. لماذا لم توقظنى؟!

استقام واقفا وخطا نحوها يمسح يديه فى قطعة من القماش...

أجابها قائلا وهو يبتسم:

- حيث اننى أعطيتك شيئا ليلة أمس ليساعدك على النوم، فقد كان لزاما على أن أدعك تنامين إلى أن يزول مفعوله. هه!! هل الفول مناسب للإفطار مرة أخرى، أم أنك مللت منه؟

أجابته فى فرح:

- طبعا مناسب.

ظلت حالة الوئام بينهما طيلة الصباح، وهما يتبادلان أقداح القهوة وعلب الفول، ويجمعان بقايا المخيم ثم ينطلقان عبر مجرى النهر القديم المترب. عندما وصلا للطريق الرئيسية حامت فوق رأسيهما سرب من الببغاوات الخضراء. وتحادثا قليلا بعد ذلك، لكن فترات الصمت كانت طبيعية وخلت من التوتر.

ازدادت سيلينا إثارة وترقبا عندما تركا الطريق الرئيسية أخيرا وتوجها نحو الجبال. انعطفا فى درب تسلكها العربات وترتفع تدريجيا مخترقة رقعا من أشجار السنديان زهورها المتفرعة وأغصانها المتشابكة، ثم عبر سلسلة من التلال المكسوة بالعشب وخلال مدرجات من الحقول الخضراء الناضرة كانت تتساقط حول أحد التلال المنخفضة كطيات الملابس. بدأت أكواخ الماشية تظهر وبعدها البيوت الصغيرة البسيطة المطلية بالطين والجير وتحيط بها أفنية ملبنة بالطين. بعد ذلك انحدرت السيارة عبر منحدر خفيف تحفه من الجانبين صفوف من الأكشاك المفتوحة.

كان «السوق». إن كان يصح أن يسمى هكذا - يبدو نائما فى هذا

www.elromancia.com

الوقت ولكن ما إن دخلته السيارة حتى اندفع من الشوارع حفنة من الأطفال حفاة القدمين داكنى البشرة. أوقف لوك السيارة تحت شجرة متشابكة الأغصان وذات جذور ضخمة تعلقت فى الطريق الحجرى وكأنه تكاد تسحبه إلى أحضانها. أخذ الأطفال يتصايحون ويتقاقرون حول السيارة، وأسنانهم البيضاء تومض فى ابتسامات بريئة تنبلج كنور الفجر من وسط تلك الوجوه البنية. خرج البقالون من أكشاكهم ليشاركوا فى الترحيب بينما كمنت زوجاتهم فى الخلف وقد حجبن وجوههن فى خجل وحياء بملأ عيونهن الفضول وهن يختلسن النظرات من خلف أحجبتهن.

حلقت معنويات سيلينا فى السماء وزاد عزمها على انتهاز تلك الفرصة لاستكشاف ذلك العالم الجديد الذى قسم لها أن تعاينه...

توجهت نحو لوك وسألته فى لهفة:

- ممكن انزل من السيارة يا لوك؟

تجاهلها و انحنى نحو النافذة مناديا أحد الرجال...

لكنها أضافت فى الحاح:

- من فضلك يا لوك. فقط لمدة دقيقة لأنفرج على المكان؟!

- حسنا، لكن لا تتأخرى لأننى سرعان ما سأعرف أين استقر نارايان ليقيم المخيم. لذا لا تبتعدى كثيرا.

فتحت باب السيارة وخرجت فى خفة وهى تبتسم لعنقود الأطفال

الذين التفوا حولها. دست يدها وشاحها ورفعت خصلات شعرها الكستنائى لتجد العرق يغمر مؤخرة عنقها. سرت فى بدنها قشعريرة باردة. فرغم أن هذه القرية فى السفوح السفلى ولا ترتفع عن الأدغال سوى ألف قدم إلا أن النسيم هنا كان ألطف وأكثر اعتدالا. فتحت رئتيها لتغسلهما بذلك النسيم العليل وخطت عائدة نحو البازار.

التف الأطفال يتضاحكون فى مرح حول سيلينا التى أخذت تتطلع الى الأكشاك لتشاهد «البضائع» المعروضة فيها، وقد أثارت أنفها الروائح النفاذة التى تفوح من شكائر الأرز والدخن وقراطيس الحمص وروائح البصل والثوم والقرنفل والزنجبيل. بهرتها أهرامات التوابل بألوانها المختلفة وأكوام الفلفل الحار الأخضر والأحمر وبلورات الملح وكتل سكر «الجاجرى» البنية، والتى قيل لها إنه يصنع من عصارة قصب السكر. رأت أحد الأكشاك مزينا بشرائط ملونة علقت فيها أكياس صغيرة من الشاى وقد أخذت ترفرف كالأعلام الصغيرة، بينما زين كشك آخر بعقود الألماس المقلد وخلاخيل الفضة وغيرها من الحلى.

توقفت للحظة لتشاهد بقالا بدينا يزن دقيقا غامق اللون فى ميزان عتيق الطراز يتدلى من بين أصابعه.

كانت تقف متأملة فى تعجب بعض الكرات السوداء المائلة للون البنى والرطبة والتى كانت موضوعة فوق صينية نحاسية كبيرة... أحست بيدين كبيرتين ترتبان على كتفيها. استدارت فى سرعة فاصطدمت نظراتها بوجه «لوك». كانت أشعة الشمس قد أمسكت بتلابيب شعره الذهبى القصير ولونته بلون ذهبى أبيض وغطت بشرة وجهه ببريق

www.elromancia.com

ذهبى أخذ يتلألأ بطول فكه وفمه وذقنه ظلت تحدق فيه لحظة أو لحظتين فى شرود. تقوست شفتاه فى شبه ابتسامة ساخرة وانعقد حاجباه فى تساؤل...

أشاحت سيلينا بنظراتها بعيدا نحو الكشك وسألته،

- لوك! ما هذا الشئ البنى هناك الذى يشبه علف الحيوانات؟ هل يأكلونه؟

أجابها وفى صوته شئ من الضحك،

- تبغ.

هل كان يضحك لأنها كانت تحدق فيه بهذه الطريقة؟ كيف يستطيع أن يدرك ذلك وهى ترتدى نظارتها الشمسية داكنة اللون؟ أوه!! إنه يراها دائما جاهلة ومثيرة للسخرية!! نعم إنه يضحك لذلك. وذلك ما جعلها تستشيط غضبا.

قالت فى اقتضاب،

- إنك تستفزنى.

أجابها وهو يمط حروفه،

- حاشا لله يا آنسة روكسلى!

ثم تابع يشرح لها الأمر فى لهجة حيادية،

- إنهم يحرقون شيئا من هذا التبغ فى اناء فخارى به عود مجوف

ويحملونه بين أيديهم ليمتصوا الدخان. هيا بنا نعود للسيارة.

عندما غادرا القرية وجدا درب العربات يتشعب الى طريقين سلك «لوك» أفضلهما وكان طريقا ينحدر هابطا تلالا كثيفة الأشجار تقع على الجانب المظلم من التل واستمرا فى طريقهما الى أن لاح لهما من بعيد أحد الوديان النهرية وكان أكبر كثيرا من الوادى الذى باتوا فيه ليلتهم السابقة.

أخذت تفرك يديها وترتعش فوجدت لوك يسألها فى حدة،

- هل انت بردانة؟ حتى فى الشمس؟

- لا لا. ساتمشى قليلا وساصبح على ما يرام خلال دقائق.

علق ساخرا،

- لم تأخذى معك الملابس التى تناسب هاربة الى شتاء انجلترا القارس، أليس كذلك؟

- لقد حزمت السترة الصوف والشال الذى أتيت بهما فى الطائرة، لكننى نسيت فى غمرة خوفى وأنا أهرب، معطفى الفراء فى الاستراحة. كنت أظن أننى يمكننى شراء الملابس اللازمة فى دلهى.

توقفت برهة ثم أضافت فى برود،

- لم أكن أنوى القيام برحلة جبلية... أيها السيد.

- حسنا، لا تكونى سريعة الغضب هكذا. سنتدبر الأمر ونعالجه.

www.elromancia.com

ناولها سترته الجلدية القديمة من السيارة وهو يضيف،

- هيا ارتدى ذلك مؤقتا.

ورغم أن السترة كانت ضخمة بالنسبة لها الا انها حجزت عنها البرودة. كانت تحس بالقلق من «علاجه». هل سيتخلى عنها؟ هل سيعيدها الى السهول؟ لا... لا لا يمكن أن يفعل ذلك. خصوصا بعد أن وعدها. كانت السترة تصل الى ركبتيها لكن... من الذى يبالى؟ كتمت ضحكتها من هيئتها وشمرت أكمامها. عندما رأت لوك وناريان يتهامسان تحركت مبتعدة عنهما لتشاهد المكان من حولها.

سحبت سيلينا نفسا عميقا وفردت ذراعيها على كامل استقامتهما وكأنما تعانق كل هذا البهاء الذى يتزين به المشهد فى الهمالايا ثم تنهدت فى رضا وارتياح. ورغم كل جروحها ومصائبها كانت تحس بانها فى كامل صحتها وحيويتها وقوتها. فجأة أحست بجوع شديد... وبأن شهيتها قد عادت اليها، بأشره ما يكون.

عادت الى نار المخيم، وجلس ناريان يلتهم طبقا من الكارى لابد أن اشتراه من القرية. تناولت هى ولوك بيضا مسلوقا مع فطائر مسطحة ومستديرة تسمى «تشوبانى» وعليهما الكثير من صلصة التوابل. ذكرتها هذه الوجبة بأيام طفولتها عندما كانت تشن غاراتها خلسة على غرفة الطعام وتسلب ما كانت تجده... لكنها كانت تستمتع بهذه الوجبة بكل شك حتى إنها تناولت كتلة كبيرة من «جبن» الجوافة الحمراء الحلوة من إحدى العلب وأخذت تلعق أصابعها فى تلذذ. بعد ذلك أخذت تلتهم فى نهم أصابع الموز من «السباطة» التى أحضرها الرجلان معهما، ثم

سكبت فوقها قدحا من الشاى الثقيل الحلو اللذيذ...

أحست سيلينا بالشبع والامتلاء وامتلأت نفسها رضا وسرورا. قفزت من مكانها وأخذت تجمع الأقداح والأوانى عازمة على غسلها فى النهر. استند «لوك» الى جذع شجرة وأشعل قداحته فالتفتت سيلينا عندما سمعت صوت القداحة ولمحت فى عينيه نظرات السخرية وهو ينفث دخان سيجارته.

سألته فى غضب مفتعل،

- ما الذى يضحك الآن؟

- انت.

رفعت رأسها فى أنفة ولوت ذقنها فى احتقار...

تابع موضحا،

- لو رآك رفاقك الاستقراطيون الآن، يا آنسة روكسلى، فسيطردونك فورا من جنتهم دون تردد. عين متورمة، ثياب مهلهلة وعصابة حول الرأس!! وتحشين فمك الرقيق هذا بكتل من الخبز الخشن وتلقفين أصابع الموز فى نهم من لم يأكل طوال أسبوع!! تشم... تشم تشم!!

أخذ يلوك بلسانه فى فمه مقلدا الصوت الذى كانت تصدره وهى تأكل.

انتفخت أوداجها غيظا،

- حسنا كنت جائعة!!

www.elromancia.com

وعاودتها ذكرياتها القبيحة معه لكنها أضافت فى صلف:

- إنها «سترتك» القديمة البالية! فماذا تتوقع؟ أن أرتدى عباءة مزهرة وأمسك بشمسية وأضع ساقا فوق الأخرى؟ أين كنت طوال هذه الفترة أيها السيد؟ ألم تر فى حياتك فتيات عاديات فى رحلة جبلية أو نزهة ريفية؟

انعقد حاجباه فى سخرية:

- أنت فتاة عاملة عادية؟! غير معقول!!

تلعثمت قليلا ثم أجابته:

- وكيف تعرف أننى لست كذلك؟

- انظرى الى يديك يا سيلينا. يديك الرقيقتين الناعمتين. وملابسك. صحيح أنها الآن ممزقة ومهلهلة، لكنها أتت من الدرج الأعلى. طريقتك فى الكلام، فى الحركة، الطريقة التى تنظرين بها من على أنفك النبيل الى المخلوقات الأقل شأنا. أعتقد أنك «غندورة» وسط محيط معارفك يا انسة روكسلى!!

أجابته فى قسوة:

- ما أقل ما تعرف!! أية حال، هل يجب أن تكون وقحا؟

- إنك تخلطين الوقاحة بالصراحة.

- وأنت تخلط الصراحة بـ... بالتحامل. لقد حكمت على بأننى غبية، مدللة ولا أصلح لشئ منذ أن وقعت عيناك على. ومهما أفعل أو أقل فلن

تتزاح هذه الفكرة من رأسك العنيد!!

أكد عليها فى ابتسامة زادتها جنونا:

- غبية. نعم.. تافهة من كثرة التدليل، بالرغم من بعض المتاعب الأخرى التى واجهتها فى الماضى!

أثارتها ذكره لآلامها حنقها الشديد فأجابته فى غضب:

- إننى أشفق على زوجتك، إن كان هناك امرأة حمقاء بما يكفى لتتزوج شخصا مثلك!! إنك فظ وعنيد ومتزمت فى أفكارك وآرائك لدرجة أن المسكينة لابد أنها كانت مضطرة للتعايش مع واقع بائس كالذى عايشته بنفسى!

ضاقت حدقتا عينيه فى خبث وأجاب:

- لو كنت تحاولين استدراجى لتعرفى إن كنت متزوجا أم لا، فلتتحلى بالشجاعة ولتسأليني مباشرة. لست متزوجا- حتى الآن... فلماذا لا تتزوجيننى يا انسة روكسلى؟

تذكرت فجأة اقتراح نارايان بأن يتظاهر «لوك» بأنها زوجته. اتسعت عيناها واستدارتا، وقتم لون قرنيتهما. كم كانت غبية لدرجة أن تنزلق معه فى شجار كهذا!! أرادت أن ترد على وقاحته لكنها سيطرت على الكلام قبل أن يتجاوز شفتيها وقالت له لاهثة:

- لن أقف هنا وأتحدث بمثل هذا الهراء أكثر من ذلك!!

ثم استدارت نحو النهر والأقداح والأوانى تقعقع فى يديها.

www.elromancia.com

جلست على قدميها تغمر الأوانى بهمة ونشاط فى دوامة من المياه قرب حافة النهر وأخذت تنظر الى يديها. كان أحد أظافرها مكسورا وتناثرت الخدوش على يديها، لكن لوك كان محقا! ليست هاتان يدى فتاة عاملة! ستتعلم وتقوم بدورها فى أعمال المخيم وستصبح أصابعها الطويلة الرقيقة أخشن وأقوى. وسترى «لوك فان مير»... نعم لن تتيح له الفرصة ليجد ما يتهكم عليها بسببه عندما تتعود على حياة المخيمات. كانت لا تزال تشعر بالنشاط والحماسة بسبب مناوشتها اللفظية معه. عندما أثارها «لوك» أطلق الأدرنالين ليفعل فعله فى عروقها. إن لوك هذا له قدرة على اثارة غضبها وخوفها و... أى شئ يريد.

لمحته بطرف عينيها قادما نحوها. لابد انه جاء بكمال استفزازاته لكنها التفتت تنظر اليه ولمحت أن ملامحه قد اكتست بمسحة من الجدية مرة أخرى.

- سيلينا. عندى نصيحة لك. الزمى هذا الجانب من النهر حيث التيار شديداً.. لا تذهبى وحدك للاستكشاف اسفل النهر. قد يكون هناك «ماجارات» حيث يتسع النهر ويصبح أبطأ فى سيره.

نهضت من مكانها تنظر اليه فى تساؤل فأوضح فى لهجة حيادية:

- تماسيح.

انتفضت تبتعد عن النهر وهى تقول:

- لن أفعل. لقد علمنى الثعبان درسا لن أنساه!

وأحست سيلينا كأنها رأت الثعبان بالأمس. لقد بدأت تفقد إحساسها

بالزمن بالأمس كانت فتاة مختلفة تعيش على كوكب آخر.

ابتسم لوك وغمز بعينيه قائلا:

- هكذا دون نقاش! حمدا لله على ذلك.

انحنى يحمل الأقداح مضيفا:

- الماجارات غير خطرة إلى حد ما، لكنها لا تستحق المخاطرة يا «ليفى». سنتمشى هناك لتفرج على المكان عندما نقيم المخيم.

عرضت عليه فى حماس:

- وسأساعدكما من كل قلبى.

مسحت يديها فى همة وحماس وقد نست كل غضبها وعداوتها. إنها المرة الثانية التى يناديها فيها «ليفى». إنها لا تبدو كلمة هندوستانية، وفى نبراته شئ ما... مثل مودة عفوية جعلها تتساءل فى نفسها عما يمكن مثل هذه الكلمة ثم... تبعته إلى المخيم.

تبين انها كانت عائقا أكثر منها مساعدا، إلا انها كانت متلهفة على اثبات ذاتها وارضاء «لوك»، وكان لوك ونارايان حليمين معها إلى درجة كبيرة، مع محاولاتها المتعثرة فى المساعدة. أخذوا ضروريات المخيم بحيث لا يستغرق اقامته ونقضه الكثيرة من الوقت والجهد، واكتشفت أن مهمة اعداد الخيام وربط الحبال وما شابه هى مهمة لا تقدر عليها سوى الرجلين إنها فشلت حتى فى حل عقد الحبال، فقنعت بإفراغ محتويات الحقائب وفرش الأسرة وايجاد اماكن مناسبة للمصابيح والأوانى، منع

www.elromancia.com

«باتش» من دس أنفه الفضولى فى أوانى الطعام.

حاولت أن تنصب السرير المحمول وتربطه فى مكانه إلا أنها فشلت ووقفت على ركبتيها فصكت أسنانها لتمنع نفسها من البكاء وأسرع «لوك» يساعدها على النهوض.

أخذ يتأمل وجهها الذى احمر من الاجهاد قائلا،

- حسنا يا سيلى لقد فعلت ما عليك!!

كانت لهجته ساخرة ولكن فى لطف شديد، فضحكت من نفسها ونظرت إلى السرير فى غضب مصطنع وصاحت،

- حسنا سأنصب هذا الشئ ولو قتلنى!!

أخيرا أفلحت فى نصبه. المرة القادمة ستفعلها دون كل هذا الضجيج، هكذا أكدت لنفسها وهى تلقى بجسدها على السرير وتتكئ على كوعيها فى إحساس مضحك بالانتصار، لكنها حينما نظرت حولها ورأت المخيم مقاما وناراياان يجلس فى هدوء يقرأ كتابا، ولوك مشغول بتجهيز عدة الصيد مستنداً إلى السيارة، حينها أحست أن اسهامها فى اعداد المخيم كان صفرا كبيرا.

أخذت تقهقه فى نفسها وباتش يتقافز بجوارها.

اقترب منها لوك حاملا «سنارته» قائلا،

- هل لك فى نزهة، أم أنك مجهدة بما يكفى اليوم؟

- إننى لم أفعل شيئا، أليس كذلك.

وتنهدت فى امتعاض وهى تنهض واقفة على قدميها. انطلقا فى اتجاه أسفل النهر على طول الضفة الليئة بالحصى والرماد. كانت تعرفه الآن بما يكفى لئلا تتوقع منه أى كلمة شكر.

قال لها غلظة،

- إن المكان لا يناسبك. لنقر بالأمر.

أجابته فى تلهف،

- يمكنك أن يكون يا لوك، المسألة فقط أننى لم أحاول - لم تتح لى الفرصة مطلقا لتجربة شئ كهذا. إن الأمر يشبه أن تصحو من كابوس ثقيل لتجد نفسك ملزما بتعليم كيف تكون «حيا» . أمهلنى القليل من الوقت وسترى

ألقى عليها نظرة يقيمها،

- جهد بدنى لإفراغ طاقة ذهنية؟

والتقط حجرا رماه بعيدا ليجرى إليه باتش.

- نعم- فى جو جديد تماما! إنه مختلف عن كل شئ عرفته من قبل وجميل بشكل مدهش!!

ثم سحبت نفسا عميقا واضافت،

- أوه!! أتمنى لو دام للأبد!!

٦- نحو قمة التل

عندما أشرق صبح اليوم التالى جلب معه ضوضاء وجلبة جعلت سيلينا تنهض من نومها وتستلقى على جانبيها تستمع. كانت أصواتا بشرية: أصوات عدد من الرجال يلقون بالتحية والسلامات. أصوات لوك ونارايان يتحدثان بالهندوستانية. أصوات لأشخاص منهمكين فى الحديث ونباح باتش فى خلفية المشهد ممزوجا بوقع حوافر الخيول على الأرض المزروعة بالحصى.

قفزت واقفة على قدميها ورفعت غطاء الخيمة قليلا تتلصص وتسترق النظرات. كان المكان يعج بالحركات والنشاط فقد وفد الى المخيم ست رجال اثنان منهما يشبهان رجال الجبال بملامحهم القاسية وعضلاتهم المفتولة، أما الأربعة الآخرون فبدوا مختلفين قليلا فى زيهم الكاكى الذى كانوا يرتدونه. كان مع الرجال بغلان حمل ظهريهما بالأحمال والى جوارهما فرس قوى البنية لونه فى لون الشيكولاتة. كان باتش يتقافز بجوار أحد الهنود ويداعبه وكأنه يعرفه. أما الآخرون فقد انهمكوا فى افراغ الحمولة ثم حلوا أربطة البغلين والفرس وتركهم ليشربوا من النهر.

ظلت سيلينا تتطلع برهة لترضى فضولها بينما انصرف الرجال ليشعلوا نارا لهم وانهمك لوك ونارايان فى عملهما، وجلس الرجال حول النار التى أشعلوها واخذوا يغذونها بالعصى التى أطلقت دخانا ولهبا برتقاليا الى هواء الصباح المنشبع بالندى.

ترددت سيلينا قليلا ثم نادت على لوك.

التفت ناحيتها صائحا:

- ابقى كما انت يا سيلى، سألحق بك خلال دقيقة.

لاحظت أن الرجال التفتوا ينظرون فى اتجاه صوتها ثم حولوا انظارهم بعيدا فى هدوء. لكن واحد منهم هب واقفا على قدميه واتجه نحو خيمتها. كان وجهه نحيلا تبدو عليه امارات العافية وبنيانه يشبه بنيان الجنود، رمادى الشعر وأسنانه معقوفة ومصفرة. انفرجت شفتا الرجل عن ابتسامة مؤدبة وحنا رأسه وشبك كفيه على طريقة الهنود فى التحية قائلا:

- سلام «ميمصاحب». انا كونوار سينبج. خادم «الصاحب». هل تودين حضرتكم أن أعد لكم الإفطار الآن؟

تلعثمت وهى تجيبه:

- لا... نعم... أعتقد ذلك.

انطلق الرجل يحضر اناء القهوة و«باتش» يتقافز حول قدميه معيقا اياه ومعطلا له لكن الرجل كان حليما معه وكأنه متعود على الكلب.

تقدم لوك ناحيتها ودلف الى الخيمة وأسدل غطاءها خلفه. كان بنيانه الضخم يملأ فراغ الخيمة، كما كان يملأ فراغ السيارة.

قال لها لوك:

- اجلسى يا سيلينا وإلا لن نستطيع التنفس.

لم يكن فى لهجته أى قدر من السخرية ولا المرح وانما بدا فى نبراته القلق والجدية. جلست على حافة السرير وجلس الى جانبها فأصدر السرير صوتا يشبه الأنين.

أضاف فى لهجة تقريرية مباشرة:

- الآن اسمعينى جيدا يا سيلينا. لم يعد امامنا وقت للتلكؤ والتوقف من حين لآخر. من هنا فصاعدا، وبالنسبة لكل من يهمه الأمر- بمن فيهم رجالنا وأهلنا الذين سنقابلهم فى طريقنا خلال الأسابيع الثلاثة القادمة- فانت زوجتى، انت السيدة «فان مير» أى «زوجتى» صافى؟

كانت تتوقع أن تسمع منه ذلك خلال اليومين الماضيين بعدما سمعتهما، هو وناراياان يتهامسان، لكن عندما أخبرها بها بهذه الغلظة والمباشرة جعل نخاعها يتجمد وتحس برهبة تسرى فى بدنها لو كان اختار لحظة هادئة حيث يكونان قريبين إحداهما من الآخر ويسود الود والوئام بينهما..

أجابته فى برود:

- لو كنت تقصد بكلمة «صافى» مفهوم، إذا فالإجابة هى لا، لم افهم.

- سبحان الله!! هل تصبحين صماء عندما يقال لك ما لا تودين معرفته؟ حسنا، معنى ذلك بشكل أساسى اننا سنتشارك فى الخيمة وغيرها من الضروريات. ستلازمننى وتفعلين ما امرك به أيا كان.

رمقته بنظرة ساخطة وهى تجيبه:

- إن فكرة مشاركتك خيمة صغيرة كهذه هى فكرة هزلية سخيفة. إننى لن اشاركك حتى فى خيمة أكبر. وعندما تقول وغيرها من الضروريات فما الذى تعتبره «ضروريا» بالتحديد؟

حد وجها بنظرة زلزلت كيانها وهو يجيبها:

- هل كنت تتعاملين مع هنرى سبندر بهذه الغطرسة؟ أيها الساذجة الصغيرة؟ ألا تعلمين أنك بتعبيرات وجهك تلك واشاراتك بإصبعك على هذا النحو تفرضين على اى رجل يحترم نفسه تحديا لا يستطيع إلا مقاومته؟ ليسقطك من على جواد صلفك هذا ويمرغ انفك فى التراب؟!

لاحظ لوك توترها فرسم على شفتيه ابتسامة وقال فى لطف:

- حسنا حسنا، لقد اخطات. ربما أكون قد واجهتك بهذه الحقيقة بشئ من القسوة لكننى كنت الأتمنى ان نستطيع تفادى ذلك الموقف. لكن ما باليد حيلة...

اتسعت عيناها دهشة وسألته:

- ماذا؟ هل حدث شئ؟ هؤلاء الرجال هناك؟

- إنهم رجالنا ورتبنا لقدومهم هنا. وهم فى طريقهم الينا استوقفهم

رجلان قالا إنهما شرطيان ووجها إليهم بعض الأسئلة.

ازدردت سيلينا ريقها فى صعوبة وقالت:

- أسئلة؟

- اذا كانوا قد رأوا امرأة «انجليزية» تتجول فى هذه الأنحاء. كان خادمى وخادم نارايان على علم بما يقولان وضحا لهما بأن المرأة البيضاء الوحيدة التى رأوها هى زوجة رئيسهم الذى يقوم برحلة جبلية هنا وانهما سيجلدان حتى الموت إن لم يحضرا المؤن الى سيدهم فى الوقت المناسب. سألهم أسئلة أخرى. عن الرحلة. من وأين. يعتقدون أن الشرطيين قد اقتنعا بكلامهما لكننى لا يروقنى الأمر كله.

سألته وهى تقضم شفتيها فى توتر:

- هل تعتقد أنهم سيتتبعونهم ويصلون الى هنا ليتاكدوا؟

- ممكن. الأمر يتوقف على طبيعة مهمة الشرطيين: هل هما يبحثان عن سيلينا روكسلى أم يحاولان اقتفاء أثرى أنا ونارايان. أيا كان الأمر يجب أن تبدو قصتنا معقولة وقابلة للتصديق. إن المهمة التى نحن بصدد تنفيذها فى غاية الأهمية يا سيلى يجب أن نحمى غطاءنا مهما كلفنا ذلك.

ثم أضاف فى لهجة أقسى:

- معنى ذلك أن تتعاونى معنا، اتفقنا؟ لحماية نفسك، اذا كنت ناكرة للجميل بالقدر الذى يجعلك تنسين جميلنا معك.

- إنك تثير اشمئزازى. فى البداية تحاول ارهابى لأنفذ لك ما تريد، بعد ذلك تذكرنى بأننى مدينة لك بالجميل. إنه ابتزاز!!!

ظل صامتا برهة ظنتها دهرا فرفعت رأسها لتواجه بكل ما استطاعت من رباطة جأش لكنها اصطدمت بغضب يستعر فى عينيه.

قال لها فى لهجة ناعمة تهديدية وهو يمط حروفه:

- تتخيلين اننى من نوعية سبندر؟

ذابت شجاعتها فى لهيب غضبه وهى تجيبه:

- كيف لى أن أعرف؟ لقد كان على أن أتخذ حذرى دائما... كانت هناك دائما خدعة... ذريعة...

رأت نظرات الغضب فى عينيه يخمد أوارها وتتحول شيئا فشيئا الى نظرات باردة وكأنها اتهمته اتهاما لا يليق به ويجب أن تخجل من نفسها.

أحنت رأسها فى خجل وقالت فى تردد وندم:

- لوك! لم أقصد أن...

- بل قصدت. إننى أعلم عن يقين ما الذى كنت ترمين اليه. إذا كنت تخشين أن أصر على مشاركتك الخيمة وأن أفرض نفسى عليك، فعليك أن تمنحى نفسك فرصة اكتشاف الحقيقة بنفسك.

هب واقفا وقد لامس كتفاه لانخفاض سقف الخيمة ورأت أنها لم

mobeelromancia.com

تتحد تتحمل مواصلة هذا الجدل فقالت فى استسلام،

- حسنا يا لوك! اتفقنا! سائق بك. آسفة اننى أسأت فهمك، لكن أظنك تقد كم هو صعب على أن أطمئن الى دوافع الناس.

صمت برهة ثم أجابها،

- حسنا! كان يجب على ادراك ذلك.

تغيرت لهجته وتعبيرات وجهه فجأة كالعادة.

أضاف فى هدوء ولطف،

- لقد قلت لك من قبل انك فى أمان تام معنا. لن أؤذيك يا سيلى. تستطيعين تصديق ذلك دون تحفظ.

سرى الارتياح فى كيانها،

- نعم. وسأفعل ما بوسعى لمساعدتكم.

- جيد.

رفع غطاء الخيمة وتحدث مع كونوار سينج ثم التفت وجلس بجانبها على السرير قائلا،

- لدينا شئ من أجلك.

بعد برهة أحضر الخادم صندوقا الى الخيمة ووضعه أمامها ثم انصرف فى أدب. لاحظ نظرات التساؤل فى عينيها فبادرها،

- ملابس، جمعناها على عجل ودون تخطيط خلال أربع وعشرين ساعة. يعلم الله إن كانت ستناسبك أم لا، وكيف سيبدو شكلها.

جثت سيلينا على ركبتيها تتحسس الملابس المطوية فى فضول.

سألته فى دهشة،

- سبحان الله!! كيف استطعت تدبيرها؟!

- اشارات الدخان، هل يمكن بغيرها؟

غسلت سيلينا أشياءها فى سرعة وارتدت ملابسها ولحقت بلوك ونارايان. كان أشهى وألذ وأحسن إفطار تناولوه حتى الآن وقد أعده «كونوار» وابتسامته لم تفارق شفتيه.

عادت الى خيمتها بعد انتهاء الافطار لتحزم أمتعتها وأخرجت حقيبتها وصندوق الملابس ولكنها م تجد ما تفعله مع وجود كل هؤلاء الرجال فى المخيم. اخذت تتمشى لوهلة فى المخيم «وباتش» فى عقبيها وهى تشاهد لوك ونارايان يشرفان على تحميل الوْن واعداد الرواحل. بعد ذلك اقتربت من الفرس لتحاول جعله يتعود عليها لكنه نظر اليها فى قلق ثم أجفل راجعا خطوة أو اثنتين الى الوراء. ظل واقفا فى مكانه برهة ينظر اليها فى ريبة وقلق ثم سمح لها أخيرا بأن تربت على أنفه، ثم القمته قطعا من سكر «الجور» من راحة يدها، اقترب منها وأخذ يداعبها ويستحثها على اعطاءه المزيد من السكر الى أن ضحكت وأبعدته عنها فى مرح.

www.elromancia.com

امتلأت نفس سيلينا بالرضا لأنها استطاعت السيطرة على الفرس وأحست بأنها يجب أن تكون مشغولة بدورها فالتقطت عدة الحياكة وقميصا أزرق اللون وواحد من البلوفرين اللذين منحها لوك اياهما وجلست على صخرة قرب المكان الذى نشرت فيه ملابسها لتجف. ظلت جالسة فى ضوء الشمس لمدة ساعة وقد انهمكت فى تعديل الملابس لتصبح أجمل منظرا وأكثر مناسبة لمقاسها. كان القص الذى تستعملة صغيرا وكانت أصابعها ملتهبة ومجروحة، لكن لم تكن نتيجة عملها سيئة... لم تكن سيئة على الاطلاق.

كان المخيم قد انقض الآن وتناثرت أدواته فى أكوام منتظمة ومفروزة. كان لوك ينقل حاويات البنزين التى لابد وأنها قد أحضرت على ظهر البغال ويضعها على السيارتين وتساءلت سيلينا فى دهشة عما ينوى أن يفعله بالسيارتين. ودت لو سألته عما يجرى لكنه بدا مشغولا لدرجة لم تكن تسمح له بالتزقف لارضاء فضولها. ربما من الأفضل لها الآن ألا تظهر فى مجال رؤيته بالمرة!!

سارت فى مهل بعيدا عن المخيم وضوضائه فلمحت قرب النهر فيلا يظهر من وسط الأشجار إلى قلب طريق الأغنام. عندما نزل الفيل إلى ضفة النهر لمحت سيلينا رجلا وطفلا يجلسان على كتفيه وخلف رأسه الضخم. بدا «باتش» ينبح ورفرف الفيل باذنيه وكانهما مروحة وخرطومه يتمايل يمنة ويسرة ثم يرتفع إلى رأسه فى وكانما أمارة خوف. وبخه «الماهوت» ووخزه بين أذنيه. كاد «باتش» يندفع تجاه الفيل لكن سيلينا ارتمت عليه تمسك به وتمنعه فى الوقت المناسب فقد

حرصت على الارض واصطدمت بصخرة كبيرة.

أسرع لوك يعدو تجاهها صائحا:

- سيلينا! ماذا كنت تفعلين هنا بحق الله؟ هل جرحت؟

وانحنى يتفحصها. كاد قلبها يقفز من بين جوانحها طربا! رغم كل ما فى لهجته من خشونة فقد كان يراقبها، لقد كان يرعاها ويحرسها رغم كل شئ أجابته فى خفوت:

- لا لا. فقط صدمت رأسى.

انتصب واقفا واضعا يديه فى وسطه وهو يقول:

- حسنا لا تقتربى منها وسيطرى على هنا الكلب اللعون.

كان الفيل قد ابتعد إلى جزأ أهدأ من ضفة النهر.

احتجت عليه قائلة:

- وماذا تظننى أفعل!!

وشددت قبضة ذراعها حول باتش، لكنها لم تغضب من لهجته الحادة، لأنه ورغم كل شئ كان قلقا على سلامتها بصدق وإخلاص.

ظل لوك بجوارها بضع لحظات وكانت على وشك الكلام لكنها وجدت تركيزه منصبا على الفيل الذى بدأ الآن يخوض فى مياه النهر الضحلة. وصل الى مسامعها كلمات بدت مثل «دوت... دوت». ومع هذا الأمر توقف الفيل. تبع ذلك بعض الكلمات التى لم يستطيعا تميزها فجأة

الفيل على ركبتيه. ترجل الهندى عن فيله وحمل طفله وصرة بها بعض أشيائه ووضعها فى مكان امن على الضفة تحت شجرة ظليلة ثم استدار ينظر ويستكشف المخيم. خطا لوك بضعة خطوات ليتمكن من رؤيته على نحو افضل.

كان الطفل الجالس تحت الشجرة لا يزيد عمره عن عامين او ثلاثة ولا يرتدى سوى قطعة بالية من القماش، أما الرجل الذى يبدو انه ابو الطفل فكان نحيلا ضئيلا مقوس الساقين إلا أن عضلاته كانت بارزة ومفتولة انبهرت سيلينا بهذا الثلاثى غير العادى بنفس درجة انبهار الرجل بالحركة التى يعج بها المخيم. وبدا من نظرة لوك انه غير مرتاح لوجود ذلك الهندى.

استدار لوك مناديا على نارايان فالتفت «الماهوت» وكلم الطفل ثم أخرج من صرته ما يشبه فرشاة الاستحمام ثم حث الفيل على الاستلقاء على جانبه وأخذ يدعك جسك بالماء وينظفه بالفرشاة. خلعت سيلينا نظارتها واسترخت فى جلستها على الصخرة وفى عينيها انبهار بذلك المشهد غير المألوف لها الى أن شعرت بنارايان وقد لحق بلوك ورغم انها لم تسمع شيئا من حديثهما الخافت إلا انها أحست بانهما قلقين من وجود الرجل. هل من الممكن أن هذا الرجل قد أرسل هنا ليتجسس عليهما؟ احتمال بعيد!! ورغم ذلك... سرت قشعريرة فى بدنها... ربما تكون تلك طريقة لجمع المعلومات، وربما تكون طريقة بسيطة ولكنها غريبة!!!!

توقفت عن النظر الى الرجل وفيله ونظرت الى لوك ونارايان الذى

كان قد خطا عبر النهر وذهب ليثرثر مع الرجل. استمر الهندى فى تنظيفه للفيل وهو يحادث نارايان ويبتسم له ثم خرج الى ضفة النهر وبدا فى تصرفاته المزيد من الاحترام تجاه نارايان. استمر الحوار بين الرجلين وبدا الطف واكثر حميمية فاسترخت سيلينا قليلا وزال عنها شئ من توترها. عندما استدار نارايان عائدا أخذ الرجل يوجه أوامر الى الفيل الذى انقلب على ظهره ليسمح للرجل بغسل جانبه الآخر وسمعت سيلينا الطفل يبدأ فى العويل والنواح.

اقترب نارايان منهما وشرع يوضح الأمر للوك:

- اعتقد انه فلاح أمين. صحيح انه فضولى، مثل كل الفلاحين، إذ ليس هناك ما يمنعهم ويضفى على حياتهم شيئا من البهجة. لكن ليس اكثر من ذلك. ماتت زوجته وكان فى القرية ليجلب ابنه قبل أن يعود الى عمله مرة أخرى فى السهول. لقد أخبرته انكما ثريان أمريكيان.

يتمزق قلب سيلينا حزنا وشفقة بالصغير الذى حرم من أمه وهو يبكى وينوح جالسا تحت الشجرة فى صبر. كانت غريزتها تستحثها أن تذهب وتحتضنه وتمسح دموعه وتهدئ من روعه قليلا، لو أمكن ربط الكلب بعيدا.

كان كل شئ قد أعد للرحيل، معدات التخييم على ظهر أحد البغال بينما كانت المؤن والحقائب على ظهر البغل الآخر، وكان الرجال بانتظار الأوامر. اقترب منهما «نارايان» حاملا مفاتيح السيارة الجيب. أطلق لوك ذراعها ووضع الكلب أرضا ومضى ناحية السيارة يصحبه نارايان

واثنان من الرجال. انطلقت الجيب فى المقدمة واختفت فى ضفة خلال الأشجار يقودها أحد الرجال الجدد. تساءلت سيلينا فى نفسها عما سيحدث للجيب، لكنها نفضت ذلك الخاطر عن رأسها، مؤكد أن لوك وناراباى سيتخلصان منها بشكل أو بآخر. من مصلحتهما ذلك كما هو من مصلحتها. أما السيارة الصغيرة فخرجت خروجا مهيبا. وحزنت سيلينا ألا تتاح لها الفرصة مرة أخرى لتسافر بجوار «لوك» كما كانا فى السيارة. حسنا... لماذا يجعلها ذلك تحزن...؟ وبخت نفسها فى ضيق. إنه سيتظاهر بزواجهما- كما فعل منذ دقائق- كلما دعت الضرورة. وسيبقيه ذلك قريبا منها...

أحضر لها «لوك» قبعة قديمة ممزقة على أحد جانبيها بعض الريشات، مؤكد أنها قبعته، إذا أنها كانت كبيرة جدا على أسها لكنها استطاعت تثبيتها على رأسها بأن عقصت شعرها على قمة رأسها وحشرت القبعة فيها. أجلسها بنفسه على ظهر الفرس ثم وضع حول عنقه كاميرا وعلى ظهره حقيبة قماشية عدل وضع الكاميرا حول بدنه قائلا:

- جزء من التمويه!

تحرك الركب فى اتجاه أعالى النهر وفى المقدمة ناراباى وخادمه الذى قام بدور الدليل، وتبعهم الرجال يسوقون البغال وعليها الأحمال، بينما أمسك كونوار سينج بزمام الفرس.

سألها لوك:

- هل أنت مرتاحة فى الركوب؟ كل شئ فى مكانه؟

ابتسمت وهى تجيبه:

- نعم.

كان يغمرها شعور متجدد بالاثارة والترقب. صفر لوك ورفع أصابعه مشيرا لباتش ثم مضوا ثلاثتهم خلف الجميع.

عبروا النهر عند مخاضة فيه وغمرهم رذاذه وأصمهم هدير الشلال ثم سلكوا دربا منحدرا يخترق الغابات متوجهين نحو قمة التل. ألقت سيلينا على الوادى نظرة وداع طويلة. لقد بدأت الرحلة الجبلية...

www.elromancia.com

٧ ـ البكاء الضاحك

ظلوا يصعدون الجبال لأيام بدا انها لن تنتهى وبلغ الارهاق بسيلينا حدا منعها من التفكير بشكل سليم، كانت تتساقط اعياءا بين ذراعى لوك كما كان يساعدها على النزول من على ظهر الفرس، اثناء الاستراحات والبيات.

صعوداً الى قمم التلال ونزولا الى سفوح الجبال... صعوداً الى قمم التلال ونزولا الى سفوح الجبال... اخذ عقل سيلينا يردد فى ملل وكلل وهى تواصل السير المرهق ميلا وراء ميل. كان الدليل والرجال الهنود يسبقونهم كل يوم ليقيموا المخيم. كان لوك ينضم الى نارايان فى فترات قصيرة من الرحلة، لكنه كان هو وكونوار سينج يرافقان الفرس معظم الوقت، ليحافظا على سير القافلة معا وليضمنا سلامة سيلينا. بدا كونوار سينج وكأنه لا يتعب، مثله مثل «البهاريز» أو «رجال التلال»، وهو يسرع باشعال النار واعداد الوجبات «للصاحبين» و«حرم الصاحب»، رغم انه كان له مخيم منفصل مع الرجال الآخرين.

أحست براحة كبيرة عندما وقع بصرهم على الخيام و«لوك» يحملها

لترتاح أكثر. لم تنبس بكلمة شكوى أو تذمر، مع تذكرها المستمر لتعليقات لوك الفظة بأن هذا النمط من الحياة لا يناسبها، وتلهفها على اثبات خطئه لو أتيح لها الوقت الكافى. لكن تحفز كل منهما للآخر وعدوانيتهما أحدهما تجاه الآخر كان قد ولى وراح. لم يعد هناك شجار ولا مشادات بينهما، ولم يعد هناك ضحك أيضا. كانت عينا «لوك» لا ترفعان من عليها أبدا، وكان يبدو على وجهه التجهم أحيانا، وعندما فكرت فى ذلك كانت على يقين بأنه يندب حظه الذى أوقعها فى طريقه...

ورغم كل ذلك كان «لوك» لا يتوقف عن تشجيعها. لقد كان حليما باكثر مما تخيلت، وأصبح اعتمادها عليه كاملا مع تصلب عضلاتها والارهاق الذى سيطر على كيانها كله، فبدت وكأنها زوجة فعلا. كان لوك يعاملها بطريقة إنسانية وعملية ونزيهة. لم تجرب سيلينا أبدا من قبل هذا الاهتمام غير الغرض من أى رجل وتقبلت كل ما كان يقوله أو يفعله معها فى رضا واقتناع.

كانت تسترخى تماما كلما أقبل المساء وتجلس تشاهد شمس الغروب وهى تغسل الأفق باشعتها البرتقالية، وتجلس تتامل السنة النار والكلب الى جوارها يجلس فى هدوء وسكينة. كان لوك ونارايان يشاركانها الجلوس الى نار المخيم ويتهامسان بينما يعد كونوار سينج الطعام، ولا يلقيان عليهما الا نظرات مبعثرة من حين لآخر ليتاكد من أنها تتناول طعامها بشكل جيد. بعد ذلك ينصرف «كونوار» مصطحبا الكلب معه وينسحب «نارايان» فى خبث الى خيمته تاركين «الزوجين»

وحدهما.

كانت تلك الدقائق التى تقضيها مع لوك وحدهما يشاهدان غروب الشمس من أجمل اللحظات التى عاشتها وربطت بينهما برباط غريب خال من القيود. وذات مساء قالت له سيلينا:

- لوك... إنك رجل «لطيف» يا لوك.

- يا له من اتهام! إن «اللطف» صفة لا أعرف بها، ولا أتوقع أن اسمعها منك.

أغلقت عينيها فى تثاقل واجابته:

- فلتسخر ما شئت. لكنها الحقيقة.

كان يتفحص جروحها وكدماتها بشكل مستمر، وكانت تنام ملء جفنيها منذ أن يضعها فى السرير ويدسها تحت الأغطية، إلى أن يوقظها صباح اليوم التالى بقدح من القهوة استعدادا ليوم جديد شاق.

أخيرا حل صباح استيقظت فيه من نفسها وظلت مستلقية فى سريرها فى ساعات الفجر الأولى تستمع الى زقزقة العصافير وهى تؤذن بحلول اليوم الجديد. أخذت تختبر عضلاتها... معقول! بل ممتاز!! إن نظامها العضلى بدأ يستجيب!! ها هى عملية التصلب والتحمل تبدأ عمل مع عضلات جسمها! إنها مسألة يوم أو يومين وتتعود تماما على هذا النمط الشاق وتثبت للوك.

انقطع تفكيرها فجأة مع سماعها صوت خشخشة قرب السرير صوت زفير خشن وأنفاس صائته... اتكئت على كوعها والقت نظرة قلقة من

على حافة السرير فرأت جثة ضخمة ملفوفة فى منامة على الأرض.

إنه لوك! إذا فطيلة هذه الأيام كان يشاركها الخيمة الصغيرة كما اخبرها من قبل أنه سيفعل!! كانت تأوى الى فراشها طيلة تلك الأيام منهمكة وتغرق فى النوم فلا تعى شيئا مما حولها لكن... لم يعد فى نفسها أى قدر من العدائية ضده، على العكس كان وجوده بقربها يبث فيها نوعا من الارتياح والطمأنينة. إنه هنا يعتنى بها ويعمل على سلامتها، ليلا ونهارا.

امتلأت نفس سيلينا بشعور دافئ يكاد يقترب من المودة وهى تتأمل وجهه فى الظلام. إن هذا الرجل... هذا الغريب الذى لم تعرفه الا منذ أسابيع ثلاثة فقط كان أرفق بها وأرحم وأقرب إليها من أى إنسان آخر عرفته منذ أيام طفولتها الأولى.

فتحت رئتيها على مصراعيهما أمام نسيم الفجر المنعش وتسللت خارجة من الخيمة. وجدت البدر يحلق فى السماء وعليه غمامة من ندى وقد وقف يرقب قمم الجبال ويتأمل الوديان بأشجارها ومروجها الكثيفة. بدأ نور الفجر ينبلج فى كسل ملقيا بستار رقيق من الضوء ويمسح وجه الأرض التى فتحت أذنيها تستقبل زقزقة العصافير وتغريد البلابل. بدأ المكان فيما وراء المخيم يعج بالحركة ولمحت خيطا من اللهب يتراقص حيث يقيم الرجال الهنود مخيمهم.

كان لوك قريبا من نار المخيم مشغولا باصلاح ماكينة حلاقة كهربائية بدت قديمة. أما ناريان فكان قد استيقظ هو الآخر وانهمك فى توضيب بعض الأشياء. أحست سيلينا بالخجل لاستيقاظها مبكرا وتطفلها

على خلوتهم فى مثل هذا الوقت. خطت متوجهة نحو الفرس والبغلين...

أتاها صوت لوك صائحا:

- سيلينا! عودى هنا!

- هل ضايقك أنك لم ترنى أتعلق بتلابيك مثل المرضى هذا الصباح؟

فهقه ضاحكا وهو يجيبها:

- إذا كان الأوراق علاقة على الشفاء والنقاهة، اذا فلا بد أنك قد استعدت عافيتك

وضع الماكينة جانبا ورفع رأسه وأضاف:

- هكذا إذا!! وأنا أتساءل أين ذهبت سترتى؟!

- آسفة. كنت. لقد كنت نائما وكانت سترتك أقرب شئ إلى.

- تعالى تناولى بعض الشاى.

وأخذ قدحا من الشاى من كونوار وناولها اياه. وقف يتفحصها من ام رأسها إلى أخمص قدميها ويتحسس بعينيه أمارات العافية عليها.

تململت فى قلق وصاحت فيه:

- ماذا؟ لماذا تنظر الى هكذا؟ هل ستأخذ لى صورة؟!

إم م م. من منظرك أستنتج أن تعكر مزاجك دليل على استعادتك لعافيتك. ثم رفع يده تمدح الشاى ملوحا فى تهكم قائلا:

- مرحبا بعودتك يا آنسة روكسلى!

ثم سكب الشاى فى فمه كله مرة واحدة وناول الكوب الفارغ إلى كونوار...

أضاف ساخرا:

- وابقى بعيدا عن رجال التلال.... وبغالهم.

- ولماذا؟

عقد حاجبيه قائلا:

- ولماذا تكون الاجابة دائما «لماذا»؟

أجابته فى تعال:

- لأنك تلقى اوامرك وكأنها منزلة من السماء. إن من حقى أن أعرف السبب.

- حسنا. البراغيث.

كادت تصاب بغصة وهى ترتشف شايها وتجيب:

- براغيث؟

- نعم بكل بساطة. «بوليكس اريتاتر». براغيث البشر. فاذا كنت تودين ألا تقضى وقتك تحكين جلدك وتفتشين ملابسك، أبقى بعيدا.

أخذت تحدق فيه فى ذهول وقد اتسعت عيناها بشكل لم يستطع معه لوك إلا أن يأخذ وجهها فى كفيه وينفجر فى الضحك.

وصلوا إلى قمة التل وكان مشهدا جليلاً إذا أحسوا بأنهم على برج

www.elromancia.com

ينظرون الى المشهد كله، مدرجات وراء مدرجات وتلال تتلوها تلال وغابات كثيفة..... أخذ المشهد بلب سيلينا التى استدارت قائلة،

- أوه! لوك!! إنه مشهد لا يصدق! ولولاك ما كنت رأيت مثل ذلك المشهد الرائع!اقترب من المشهد الرائع وأحابها،

- المنظر من هنا رائع، لكنه لا يعدو جزء لا يذكر من النظام الجبلى على كوكبنا.

- على أى ارتفاع نحن الآن؟

- نحن فى آخر درجة من درجات سلم الهامالايا العظيم يا سيللى. فقط حوالى سبعة آلاف قدم. ولهذا يطلق على هذه المناطق اسم «التلال» بين أهالى الغاروال والكاماون» أمامنا طريق طويل طويل حتى نبلغ القمم العملاقة مثل «ايفرست»

- وماذا عن هذه السلسة الجبلية التى هناك؟

- تقريبا تسعة قدم. لن نذهب لأعلى من ذلك.

تردد برهة ثم سألته،

- لوك... إلى أين نحن ذاهبون بالضبط؟

- لن نورطك معنا- لقد بذلنا ما فى وسعنا للتغطية على مهمتنا لكن ليس هناك شئ مضمون وقد تشغل المهمة لذا فكلما قل المامك بكل تجربة جديدة واستفيدى من تجربتك معنا لأقصى حد، وانسى كل ما فات، اتفقنا؟

صمت برهة ثم أضاف،

- سيللى ستكونين بخير مهما حدث. مفهوم؟ اذا لم أضمن ذلك افعله بنفسى ستجدين من يعتنى بك، إننى أعدك بذلك «يا ليفى».

أحدث كلامه صدمة لها جعلتها تنخس الفرس ليخطو للأمام قليلا لتخفى الحزن الذى تجمع على وجهها. كانت تعلم أن المهمة التى هو بصددها سرية وخطيرة لكن... لم يخطر على بالها من قبل أنه قد يفقد حياته بسببها... ألم يكن يلمح الى ذلك؟ «مهما حدث إذا لم أضمن ذلك وافعله بنفسى...» أليس هذا ما قاله. لقد كان عازما على حمايتها مهما كانت الظروف، وليس حماية نفسه!! هل هناك خطر ما فى رحلتهما تلك؟ خطر يهدد حياته هو وناريان؟ لو كان كذلك فهما ماضيان اليه دون تردد وقد لا ينجوان. ولا سبيل الى اقناعه بالعدول عن ذلك.

سارت بالفرس مبتعدة عنه ويكاد قلبها ينخلع من بين جنبيها. لم تكن تفكر من قبل الا فى نفسها. نفسها فقط. إن لوك هو أول شخص تحس بهذا الحزن الرهيب لاحتمال فراقه. ليس فقط باعتباره الرجل الذى انقذ حياتها وأعطاها حريتها السليبة، لكن كذلك كصديق ترتبط معه بعلاقة فريدة لن تتكرر مرة أخرى. لقد أمن لها مستقبلا لا تضمن أن يكون هو فيه، باى صفة أو اى شكل لتلجأ إليه وقت الشدة. إن ذلك المستقبل سيكون مجدبا ومقفرا مثل قمة التل الذى يهبطونها الآن.

كانت الشمس تستعر والنسور والصقور تطفو على تيارات الهواء الساخن المتصاعدة من الوادى ثم تهبط تحت الاشجار. مروا فى طريقهم فى قلب سحابة من الضباب ترتفع فى غلالات من البخار على جانب التل.

www.elromancia.com

بعد أن عبروا المدرج الجبلى وصلوا الى مجموعة من المنحدرات التى تكسوها الحشائش وأشجار التوت وتتناثر بها نتوءات غريبة الأشكال من الأحجار البركانية القديمة. كانوا قد تجاوزوا منتصف النهار وكانت تلك الأحجار ترمى بظلال خفيفة تتيح لهم الاحتماء تحتها والاستراحة لبعض الوقت. نادى «لوك» و«نارايان» على القافلة بالاستراحة المعتادة.

عاون لوك سيلينا على النزول من على ظهر الفرس. كانت رائحته يفوح منها التراب وحرارة الشمس. بدا لها عزيزا ومنها قريبا كما لو كانت تعرفه منذ طفولتها.

هرول «باتش» نحوها يداعبها وكأنما أحس بما تعانيه وأسرع يخفف آلامها، ثم استلقى على جانبيه يلهث من شدة الحر. كان يمكن أن تذهب لتحضر له بعض الماء ليشرب لكنها كانت حزينة ومهمومة وقلقة بشان لوك لدرجة أن قدميها لم تطاوعاها.

لم تكن تعنيها سلامتها. بل سلامته هو. لكن كيف ستخبره بذلك الأمر الذى اكتشفته فجاة؟ لقد كان قاسيا وفظا عندما أخطأ فى تفسير هذا الشعور الصادق من جانبها. كان تصرفه مهينا. الى حد لم تحتمله. أين ذهب كبرياؤها الذى ظل ملازما لها رغم ما مرت به طيلة الأشهر القليلة الماضية؟

استطاعت أن تمتطى الفرس بمفردها وقبل أن يستطيع لوك مساعدتها سرها كثيرا أن رأت حاجبيه ينعقدان من الدهشة وهو يراها تفعل ذلك دون مساعدة. لكن سرورها اختفى وحل محله انزعاج شديد وقلق مع نظرات لوك الساخرة وهى تئن من اهتزاز جسمها مع وقع أقدام

الفرس على الصخر. كان طفوليا ما يجرى بينهما. وكانت تعلم أنها لابد أن تعقد هدنة مع لوك والا ستصبح حياتهما جحيما لا يطاق. لكن مع كل، ستحتفظ بتعاليها هذا قدر ما تستطيع.

بدأوا الآن يدخلون الى قلب الغابة حيث الجداول والأحراش كانت غابة من أشجار الصنوبر السامقة التى يصل ارتفاع بعضها الى أربعين أو خمسين قدما بأزهارها الأرجوانية وبراعمها النضرة الوليدة. الآن انفتح الدرب على طريق واسع يدور شرقا حول الوادى ورغم أنه كان غير ممهد إلا أن سطحه كان جيدا وانحداره قليل. كما كان أوسع. ما عادوا بحاجة الى الانفصال والسير فى طابور واحد.

ادركت سيلينا أن لوك يحاول أن يسرع فى خطواته ليسير الى جانب الفرس لكن كان على قافلتهم أن تنتحى جانبا لتفسح الطريق لجماعة من «البهارى» باحمالهم الثقيلة. كان هؤلاء الرجال ذوى بشرة بنية ضاربة فى الأحمر مثل القرود بملابسهم الممزقة تلك. كان كل رجل منهم يحمل سلة «كوندى» مخروطية الشكل على ظهره وقد ربط بشريط لف حول رأسه بحيث يقع الحمل على رأسه وكتفيه ورقبته. كان واحد او اثنان منهم مجرد صبية صغار ، وتعجبت سيلينا من قدرتهم على حمل مثل هذه الأثقال بهذه الطريقة الغريبة.

ثم سار لوك وناريان فى المقدمة ولا زالا يتحدثان. المزيد من الألغاز!! لأول مرة يتركها «لوك» تسير بمفردها وكونوار خلفها بقليل.

كانت لا تزال تفكر فى كل ذلك عندما تركت المخيم الذى أقاموه فى منطقة مكشوفة فوق القرية التى فى الوادى، لتبحث عن بقعة منعزلة

لتغسل عن نفسها أدران يوم آخر من الركوب الشاق. كان لوك يختار لها المكان الذى تغتسل فيه كل يوم لكنه كان الآن يقف بجوار الخيمة الأخرى منهمكا فى حديث آخر طويل مع دارايان، ربما كانا يناقشان المعلومات التى جمعاها من «البهارى» ويخططان لما سيفعلون مستقبلا. ولذلك أخذت سيلينا أشياءها الخاصة من حقيبتها ومضت بمفردها لتغتسل.

وجدت فرجة وسط الأشجار حيث يفيض النهر يتسلل فى وداعة من بين الصخور وتحيط بالمكان الأشجار والنباتات ذات الزهور بألوانها المختلفة. كان مكانا رائعا. لاحظت وهى ترتدى سترتها ما يشبه الدودة وهى تزحف فوق ذراعها ثم تلتصق بها فى قوة. هزت ذراعها فى عنف لتسقط الدودة، ثم ضربتها بحزمة الملابس، لكنها لم تسقط!! حاولت ازاحتها بعصى لكن الدودة لم تتحرك من مكانها!! تملكتها الهستريا وأخذت تعدو باتجاه المخيم وصاحت فى هلع شديد:

- لـــوك!!

أسرع يعدو تجاهها وقد انتبهت كل حواسه. لم تستطع سيلينا الكلام فرفعت ذراعها اليه ليراها.

طمأنها وهو يسيطر على انفعاله قائلا:

- حسنا حسنا لا تنزعجى وتماسكى إنها مجرد «علقة».

أخرج علبة الملح ووضع بعضا منه على العلقة. بدأ جسم العلقة يذوب ويفور من أثر الملح ثم سقطت عن ذراع سيلينا.

قالت سيلينا فى تلعثم يكاد يكون مخنوقا:

- كنت... أظن أنها تسممنى.

- لا ليس من هذه الأنواع. إنها لم تؤذك.

قالت فى صوت مرتعش:

- أووه! كان شيئا فظيعا... فظيعا!!

ثم انحدرت من عينيها الدموع وهى تضيف:

- لوك! أنا آسفة... هذا الصباح كنت... والآن كل هذا!

كشر فى وجهها متصنعا الغضب قائلا:

- لو فعلتها مرة أخرى فساعطيك علقة ساخنة تجعلك تبكين بحق.

ثم أخذ يربت على رأسها ويمسح دموعها.

انفجرت فى الضحك من وسط دموعها والفرح يغمرها. لقد عادوا صديقين مرة أخرى.

www.elromancia.com

٨- موسيقى القمر

بعد ليلتين خيموا بقرب نهر فى منخفض عميق. كانوا قد تجنبوا الاتصال بالقرية الموجودة فى أعلى الوادى - فيما عدا زيارة قصيرة قام بها كونوار سينج وأحضر معه بيضا ودجاجة نحيلة وشئ من كم الماعز لتعزيز مؤنهم - ثم استكملوا طريقهم نزولا بطول شق نهرى يشق الجبال. ومن هذا المكان لزموا الدرب الذى يسير بحذاء النهر لأميال عديدة.

كانت سيلينا قد تخلصت من الرضوض والكدمات التى تشوه وجهها واكتست بشرتها بلون برونزى جميل وتألفت عيناها الواسعتان ببريق جميل وازداد شعرها كثافة وتألقا، أصبحت الآن تواصل السير معهم دون شكوى أو ألم.

كانت قد نسيت منذ زمن ساعة يدها وأصبحت تعيش على ضوء الشمس شروقا وظهرا وغروبا لتعرف منه الوقت مثلها مثل الباقين. كانت قد فقدت الاحساس بالزمن هنا فى هذه الأرجاء الفسيحة فى قلب الهيمالايا. أما لوك فقد بدا مزاجه معتدلا هذه الأيام. ربما كان يبالغ عندما لمح لها بأنه عندما ينتهى من مهمته سيكون مشغولا الى درجة لا

تسمح له بمرافقتها فى رحلة العودة إلى انجلترا. وربما كان يقصد أنه سيرتب كل شئ لكنه لن يجد من الوقت ما يسمح له بتنفيذه بنفسه.

كانت تود لو استوضحت منه مقصده بنفسها! لكنها لم تكن تجرؤ على منا تحته فى ذلك الموضوع الأن.. لا لن تفسد صداقتهما ورفقتهما. صحيح انها بدأت تعتمد على نفسها كثيرا لكن لوك لا يزال بقربها وعلى استعداد تام لمعاونتها.. لقد أصبح ضروريا لها كالهواء الذى تتنفسه. كانت فكرة مفارقته تؤرقها تتحمل فككرة ان تفترق عنه بعد فترة ليمض كل إلى طريقه... وليمض هو إلى حياته الخاصة التى لا تعرف عنها شيئا بالمرة.

كانت سيلينا تجفف شعرها بالمنشفة عندما قفز «باتش» من جانبها واصطدم بذراعها ثم تجاوزها وهو ينبح على نحو عدائى- نظرت فى الاتجاه الذى جرى فيه فابصرت ستة أشخاص مع عصبة من الحمالين وقد بدوا كاشباح عبر النهر.

تبادل لوك وناراين نظرات قلقة ثم نهضا فورا من مكانهما وأخفيا الخرائط والمذكرات التى كانوا يطالعونها أما الخيمة الأخرى. صاح لوك مناديا الكلب ليعود الى المخيم وليهدأ. رأت سيلينا وسط مجموعة الغرباء نساء- نساء أوربيات كذلك! هبت واقفة ثم هرولت الى خيمتها.

ظلت جالسة على السرير لحظات لا تدرى ماذا تفعل. ما الذى سيريد لوك ان تفعله؟ هل سينادى عليها لتخرج؟ هل ستضطر الى مواجهة هؤلاء الغرباء؟ كانت تغطى شفتيها فى قلق وهى تسمع وقع الأقدام يقترب نحية الخيمة ثم سمعت لبوك يتكلم فى لكنة أمريكية شمالية واضحة

وبحروف ممطوطة ويقترح على الغرباء أن يقيموا مخيمهم فى منطقة مكشوفة أوسع أسفل النهر. كانت على وشك الانحناء على غطاء الخيمة لتتلصص لترى ما يفعلون عندما سمعت لوك يقبل فى ود وحرارة دعوتهم لزيارة مخيمهم بعد أن يستقروا ويناولون وجبتهم. انسحبت فى هدوء وجلست على السرير مذعورة كالفار تتمنى ألا يكونوا قد لاحظوا وجودها وألا تضطر الى مصاحبته هو وناراياں فى زيارتهم للغرباء.

لكن خاب أملها سريعا إذ وجدت لوك يدلف الى الخيمة وهو يبتسم قائلا لها:

- لا فائدة من الاختباء لقد لاحظت السيدات هروبك وأغرقونى فى الأسئلة. قلت لهم أنك كنت قد غسلت شعرك لتو وأنك كنت فى غاية الخجل من الظهور أمامهم دون زينة، لكنهن أصررن على مقابلتك، ولذا عليك مرافقتنا اليهم هذه الليلة.

رفعت رأسها اليه تنظر فى خيبة أمل وتقول:

- أووه لوك!! هل يجب على ذلك؟!

- لتمنع الاشاعات والقيل والقال. هيه! سيللى! تستطيعين تجاوز ذلك. فقط البس أفضل ما عندك واستجمعى كبرياءك وستمر الأمور على خير.

وافقته فى استسلام قائلة:

- حسنا... طالما تريد أنت ذلك. لكن سيكون مرعبا أن أتحدث إليهم... الى أى حد أستطيع أن أتكلم وأخبرهم؟ من نحن... أقصد...

- ارتدى ثيابك المناسبة وسوف نناقش الأمر على العشاء.

ارتدت سيلينا ثيابها الأنيقة التى جاءت بها فى الطائرة الى «دلهى» ووضعت بعضا من مساحيق التجميل التى كانت تنسى استعمالها للأبد. ربطت وشاحها الوحيد حول شعرها المنسدل وارتدت السترة الأفغانية ولحقت بالرجلين على نار المخيم.

استقبلها لوك بنظرة ساخرة استفزتها فقالت له:

- ألن تتصرف بذوق ولو لبعض الوقت.

- يا ولد!! هكذا... ستذبحينهم بهذه الطريقة. تعالى اجلسى على هذا الصندوق ولا تفسدى هذه الاناقة والشياكة. سنرتدى أفضل ما لدينا لنكون مناسبين كمورافقين لجلالتك!!

- لوك!! لا تغظنى. إننى مرعوبة من هذه المقابلة.

- سناخذ حذرنا ونتصرف بطريقة طبيعية ولن نغيب عندهم طويلا. فقط ما يكفى لنظهر رغبتنا فى زيارتهم ويبعد عنا الشكوك. ولنتبين حقيقتهم كذلك رغم أنهم يبدون غير ضارين بالمرة. اتفقنا؟

- لوك. خاتم الزواج!! يجب أن أرتدى خاتم زواج. إذا كن من الأوربيات فسيتوقفون منى أن أرتدى خاتما.

- اللعنة!! لم يخطر ذلك على بالى مطلقا! هل لديك أية خواتم؟!

- كنت أرتدى خاتمين للزينة وأنا على الطائرة لكننى خلعتهما ووضعتهما فى الاستراحة. إننى أتذكر! لقد لففتهما وأخفيتهما... فى

حقيبتى... نعم فى حقيبة يدى.

ثم اندفعت الى داخل الخيمة وخرجت وهى تفتش فى حقيبتها وأخرجت لفة من المناديل الورقية وأضافت:

- ها هما! الحمد لله! الخاتم التذكارى... لقد كدت أنساه!!

وأرتهما خاتما يحيط الألماس بحلقته باهظ الثمن للغاية وصفر لوك عندما رآه اعجابا وعلق قائلا:

- إنه سيجعل هؤلاء الساكين يتطلعون اليك فى انبهار!! هيا أعطنى اياه.

أخذ الخاتم من يدها وأمسك بأصابعها وأدخله فى إصبعها الأوسط. أحست سيلينا بتيار كهربى يسرى فى كيانها وسحبت يدها فى سرعة...

قالت فى ارتباك:

- إنه يبدو جيدا... أقصد أنه مناسب.

أجابها فى سخرية متهكم:

- مناسب؟ نعم مناسب. نظرة منهم اليه وسيتخيلون أن العروس قد سرقت بنكا.

كان عليهم تسلق منحدر صغير ليصلوا الى المخيم. استقبلهم الغرباء بحفاوة. كانت تعلم أنه يتظاهر بالمودة أمام الغرباء. قدمها لوك لهم على أنها «زوجته» هكذا دون ألقاب أو أسماء. وتوصلت هى الى أنه لم يكن

يستطيع تقديمها اليهم باسم «سيلينا» أو «سيللى». لقد كان محقا فهم لا يدرون أن سيذهب هؤلاء الناس ومن سيقابلون، لذا فقد كان من الحكمة عدم ذكر اسمها. ومع ذلك فقد بدا غريبا على أذنيها اللقبين: «دكتور لوكاس فان مير» والسيدة «حرمه».

رتبت السيدة الانجليزية العجوز جلسهم حول النار المخيم.

قالت فى ود وحرارة:

- لا توجد كراسى كافية. كما تعلمون من النادر أن يصادف المرء مغامرين آخرين فى طريقه. على الأقل ليس الآن فى هذا الوقت المبكر من العام.

لاحظتا سيلينا أن السيدة تبدو بسيطة وعملية على شعرها القصير الذى بدأ الشيب يزحف اليه...

أضافت السيدة:

- أنت، اجلسى هنا يا سيدة «فان مير» أما أنا فساكتفى بالجلوس على تلك الوسادة لقد تعودت على هذه المعيشة، كما تعلمين.

كادت سيلينا تحتج الا أن لوك جلس على أحد الصناديق وجذبها لتجلس الى جواره على الوسادة المتنازع عليها وأخذ يداعبها فى استعراض للمودة التى تجمع بين أى عروسين حديثى الزواج.

أضافت السيدة مبتسمة:

- لا أستطيع أن أعرض عليكم سوى الشاى أو القهوة أو العصائر. ماذا

www.elromancia.com

ستشربون؟ قهوة؟ رائع... مادو!!

نادت على خادمها الذى انبرى من وسط الظلام وأخذت تلقى اليه بأوامرها باللغة الهندوستانية. بعد ذلك ألقت السيدة بنفسها فى ارتياح الى جوار سيلينا وهى تقول فى ارتياح: «آه!!!»

بدأ الجمع يتكلم وأخذت سيلينا زمام المبادرة لتتفادى أية أسئلة محرجة قائلة:

- تتكلمين لغتهم بإتقان يا سيدة مارتن. هل انت فى الهند منذ مدة طويلة؟

- أطول مما عشت انت يا عزيزتى. ان زوجى طبيب كما تعلمون، ويعمل فى الارساليات الطبية لأكثر من ثلاثين عاما. لقد اصبح عجوزا ولم يعد يستطيع التكيف مع المناخ الانجليزى مرة أخرى، لذا فقد قررنا التقاعد والعيش هنا. نقضى شهور الشتاء فى «لوكنو». إنها فى منطقة السهول... مدينة أثرية عتيقة، لابد أن تزوروها. وفى الصيف نقيم فى بيتنا هنا قرب الورا. هل مررتم بألورا من قبل؟

أحست سيلينا بالخطر وهى تجيبها فى حذر:

- لا، إنها فى طريق أخرى. لست متأكدة...

- أوه!! تتفادون صخب المدن أيها العصفوران!! شئ رائع! أين ستقيمون بعد شهر العسل؟

نظرت سيلينا فى تردد ناحية لوك الذى كان منهمكا فى الحديث مع الاسترالى الملتحى...

قالت بما تستطيع من ثقة ورباطة جأش:

- دلهى، أعتقد. أو.. أو أينما يريد زوجى الحبيب.

- أوه! دلهى! إنها كالفرن فى موسم الصيف والأمطار. تعالوا أقيموا معنا فى الورا لبعض الوقت اذا كان ذلك كثيرا عليكم. بيت مفتوح كما تعلمون. كما أن جاى وجريتا...

ونظرت الى عالم الحيوان الهندى وزوجته الدانمركية اللذين كانا يتحدثان الى دكتور مارتن وناراين على الجانب الآخر من النار...

وأضافت:

- جاى وجريتا اضطرا للقيام بهذه الدراسة حول النمور. صحيح أننا فى وقت مبكر من العام، لكننا فتحنا لهما بيتنا ليقيما فيه، ورأينا أن نقوم برحلة تسلق للجبال ونرافقهما... عندما تحالين الى المعاش، فإن أفضل طريقة لقتل الوقت هو قتل نفسك فى العمل.

ضحت سيلينا من قلبها على كلام مضيفتها الطيبة وتمنت لو تنسى تلك السيدة ما قالته عن دعوتهما للعيش فى الورا. أتى الخادم بالقهوة ونهضت السيدة لتوزع الأقداح على الجميع. وما إن انتهت حتى جلست مرة أخرى الى جوار سيلينا وهى تقول فى حماس:

- تذكرى الآن. اذا احتجتما فى اى وقت الابتعاد عن حرارة دلهى وجوها الملتهب فما عليكما إلا المجئ الى «بريار براى». هذا هو اسم منزلنا. فقط اتصلى بنا قبل المجئ.

- إنه كرم كبير منك لكن...

- لا تطيقين الابتعاد عن حبيبك لبعض الوقت؟! سيكون عليك فعل ذلك بطريقة أو بأخرى... كما تعلمين.

وغمزت لها بعينيها بطريقة موحية.

كان ما قالته السيدة صحيحا... صحيحا لدرجة مؤلمة. إنها ستفارقه بطريقة أو بأخرى. غلبها الحزن فجأة فارتعشت يدها وسقطت القهوة على سروال لوك الذى انتفض قائلا:

- هيه! ما الأمر، يا روحى! إنها ساخنة!!

- لا شئ... لا شئ يا لوك. أنا آسفة...

بدا الارتباك والحيرة على وجه السيدة وهى تسرع تقول:

- إنها غلطتى. لقد أغضت زوجتك يا سيد فان مير. إن فكرة مفارقتك لفترة قصيرة قد أزعجتها للغاية. إنك محظوظ لأنك تزوجت هذه الزوجة الرقيقة الحساسة. حافظ عليها يا بنى. إن الفتيات هذه الأيام قاسيات كالحجارة. إن زوجتك متفردة...

كانت تعليقات السيدة قد أزعجتها كثيرا. لابد أنها تظن أنها طائشة وخفيفة!!

كانت السيدة مارتن توزع على الحاضرين المزيد من القهوة عندما انحنى لوك على أذن سيلينا قائلا فى سخرية:

- كنت تخدعينها، أليس كذلك؟ حسنا لقد ابتلعت الخدعة لكن...

هل كان لازما أن تحرقى جلدى لتحبكى القصة؟!

- أوه! لا... لم أقصد ذلك.

كانت تتمنى ألا يكون لوك قد سمع ما قالته السيدة بالضبط.

- الزوجة... الرفيقة... الحساسة!!

قالها لوك وهو يضحك وضحكاته تخترق أذنى سيلينا وترسل رعدات تسرى فى بدنها كله.

ثم توجه بكلامه الى عالم الحيوان قائلا:

- كيف تسير الدراسة؟

شردت سيلينا تفكر فى علاقتها بلوك وما يفعله معها الآن لكن حديث العالم الهندى أخرجها أخيرا من شرودها:

كان الرجل يقول:

- ... بتقديرات عام ١٩٧٢ كان يوجد أقل من ألف وثمانمئة نمر متبقين على قيد الحياة فى الهند وقد أثار ذلك اهتمام الكثير وبدأ العمل فى «مشروع النمر».

سأله لوك:

- بدعم دولى؟

- لم يكن ممكنا بدونه. خصصت ميزانية بأربعين مليون روبية على خمس سنوات مع مساهمات من الصندوق الدولى للحفاظ على الحياة

www.elromancia.com

البرية. ومنذ ذلك الحين بدأ يحصل بعض التحسين بلا شك، لكن ليس بالقدر الذى يرضى. تم عمل تغيرات فى المناطق المحمية، مثل دوريات للقبض على الصيادين، وما الى ذلك، ويجب علينا تقدير الأعداد الدقيقة للنمور.

- وكيف تتبعون خطوط سيرها؟

- إنها مسألة صعبة بالنسبة للحيوانات البرية، خصوصا فى مناطق الأدغال. إن النمور تمشى بمفردها أو فى ازواج وقد تسافر عدة أميال بحثا عن فريستها. نحن نجمع كل المعلومات الخاصة بها. ولقد أخبرونا انهم سمعوا صوت نمر يزأر فى هذه المنطقة- ولم يسمعوا صوت نمر هنا من قبل. والآن تبينا أن يرقد فى أحد الكهوف التى تبعد عن هنا بنحو عشرين ميلا فى اتجاه أسفل النهر، وجدناه نمرا صحيحا قوى البنية. وتبين الآثار التى عثرنا عليها أن طوله يصل الى عشرة أقدام. من صوت نداته علمنا أنه يسعى للحصول على أنثى، لذا فنحن نأمل أن يحدث تزواج طبيعى وولادة أشبال هنا.

التفتت سيلينا إلى لوك متسائلة فى دهشة واثارة،

- لوك! هل تعتقد أننا سنرى...؟

ابتسم وهو يجيبها،

- نعم يحتمل أن نراه، اذا لم يتملكك الهلع. أما ماذا ترى يا نارايان؟

وافقه ناريان مبتسما،

- يمكننا أن نحاول، لو أردت.

سألته سيلينا وهى ترتعد،

- لكن ماذا لو واجهناه؟!

أجابها العالم الهندى ،

- اصرخى وازعقى، يا سيدتى العزيزة، وسوف تطردينه!

ثم بعد أن اطمأن أنهم لن يستخدموا سلاحا سوى الكاميرا، أعطاهم توجيهات عن الأماكن التى يحتمل مشاهدة النمر فيها.

بعد ذلك بقليل أوما لوك لنارايان وانفض السامر. ساعد لوك سيلينا على النهوض وشبك ذراعها فى ذراعه. أما «باتش» فقد ظل طيلة الزيارة فى قبضة «كونوار» الذى ما إن أطلق انفضاض الجلسة إلا وأخذ يتشمم فى ترقب كل معدات مخيم الغرباء وسط ابتسامات الجميع إلا لوك الذى أخذ يراقب فى اهتمام. وفكرت سيلينا، إنه أنف باتش الحساس! إننى مدينة بحياتى لهذا الأنف!!

ودعوا مضيفهم فى حرارة مصطنعة على وعد بتكرار الزيارة. كادت سيلينا تضحك من هذا التصنع. كانت لا تطيق الصبر على المغادرة. لقد توترت أعصابها كثيرا من اضطرارها للتمثيل أمام هؤلاء الغرباء. يا الله! كم تشتاق للذهاب الى المخيم حيث تكون فى أمان تام معه!! مع لوك!!

٩- مرت بسلام

عندما وصلا الى المخيم انصرفت سيلينا الى خيمتها بحجة النوم. وبعد قليل سمعت وقع أقدام «لوك» يتسلل فى خفة الى الخيمة ثم الى منامته خشية أن يوقظها. كان يظن انها نائمة!! سمعت صوت ناى يأتى من بعيد. مجرد خيط رقيق من الصوت. كان صوتا رقيقا ناعما وكان ملمسه كالقطنية الناعمة على قلبها الموجوع. تقلبت فى سريرها وتأوهت سمعت لوك يناديها فى رقة،

- سيلينا؟ هل انت مريضة، أم قلقة... ام انه الأرق؟

تنهدت وهى تجيبه،

- لا أستطيع النوم... لقد كنت افكر فى حياتى... لقد اصبحت حياتى كلها معقدة وأصبحت السبل امامى متشابكة وملفتة لدرجة أننى لا ادرى ماذا ساصنع.

ساد الصمت برهة ثم أتاها صوته يقول فى رقة،

- سنفض هذا التشابك، يا سيللى، سنناقش ذلك فيما بيننا فيما بعد لكن المشكلة الأخرى، قبل أن نتقابل، لقد قلت ذات مرة إنها كابوس. نقى بى. أخبرينى عنها.

تقلبت فى حزن وهى تقول،

- أحيانا تبدو لى وكأنها غير حقيقية وكأنها قد وقعت لشخص آخر غيرى، لكننى لا أستطيع أن انتزعها من عقلى. لن تصدقنى. ولن يصدقنى أحد!!

- جربينى.

قالها لكن فى لطف هذه المرة.

تنهدت مرة أخرى وهى تجيبه،

- عشت طفولة سعيدة للغاية. لدينا عزبة عمرها أربعمئة سنة على الساحل الجنوبى لانجلترا بجوار البحر مباشرة، وبيت ريفى ضخم وجميل مبنى على الطراز الاليزابيثى. أوه... كم أحببت ذلك المنزل العتيق... لقد كان جميلا... ولا يزال.

ازدردت لعابها فى صعوبة وهى تضيف،

- توفيت أمى وانا فى السادسة تقريبا... وأثر ذلك على والدى تأثيرا فظيعا. أعتقد أنه كان مغرما بى بطريقته الخاصة، لكنه لم يكن يتقن رعاية الأطفال وكانت «الدادة» التى ربتنى هى التى ترعانى. لست أذكر على درجة التحديد كيف التقى أبى بديليا، كل ما أذكره أنها انتقلت الى البيت على أنها سكرتيرة وكمضيفة لاستقبال رجال الأعمال وزوجاتهم من الذين كان يستقبلهم فى بيتنا فى عطلات نهاية الأسبوع. كانت فى غاية الرقة واللطف معى فى البداية.. إنها صغيرة وجميلة

www.elromancia.com

ورقيقة وتشبه العرائس الصينية!! كنت فى السابعة او الثامنة ولكننى كنت أستطيع أن أرى أن ابى قد... قد «افتتن» بها. فقد تزوجها بعد اشهر قليلة و... تغير كل شئ.

خبت صوتها فسألها لوك يستحثها،

- كيف يا «ليفى»؟

- كانت ديليا تتظاهر بالرقة البالغة معى عندما يكون أبى فى البيت، لكنها من وراء ظهره تصبح قاسية وحقيرة... الآن ادرك انها كانت تراودها أفكار طموحة، وكنت انا العقبة الوحيدة فى طريقها. اعتادت أن تضربنى وتجلدنى بكل قسوة. وذات مرة جلدتنى بالسياط على ساقى العاريتين. تحولت حياتى الى جحيم. راعت ديليا ألا تضربنى مرة أخرى ولكن... هناك طرق اخرى كثيرة لارهاب الأطفال!! كانت تحبسنى فى غرفة مظلمة تملؤها العناكب لأنها تعلم اننى اخاف من العناكب... وتحكم على «بالجوع» حتى اكاد أموت على سبيل «التهذيب»... تصيح فى وجهى تحرقنى باعقاب سجائرها وتزعم لأبى اننى أصبت اثناء لهوى...

سألها لوك غاضبا،

- يا الله! ألم يتدخل أحد قط؟! هل كان أبوك عديم الحس الى هذه الدرجة لكى لا يشعر بما يحدث لك؟!

- لا أستطيع أن الومه يا لوك. لقد كان يتغيب كثيرا عن المنزل بسبب أعماله، كما غيرت ديليا تدريجيا كل طاقم الخدم فى المنزل

وأحضرت أشخاصا مواليين لها أغمضوا أعينهم عما كان يحدث. وأعتقد أن ذلك حدث مع بداية سقوط أبى فى براثن المرض عموما كان التحاقى بالمدرسة الداخلية رحمة من الله بى. تعلمت فيها الصمت والصبر ورباطة الجأش وكيف أتحدى ديليا، برغم اننى كنت لا أزال اخشى الاجازات. عندما بلغت السادسة عشرة لم تعد تستطيع لمسى ولا الاقتراب منى. تقوقعت على نفسى وأصبحت أعاملها باحتقار. أصبحت أمارس معها نفس لعبتها، رقيقة ومؤدبة ولطيفة أمام والدى، وشرسة وعنيدة بعيدا عن عينيه.

أخفت وجهها بيديها وأضافت،

- ثم ظهر «هنرى» فى حياتى. كان أبى قد بلغ به المرض مداه وجاء هو ليدير العزبة. يا ربى!! منذ أن جاء لم يكف عن مطاردتى كالثعبان الكريه... كان يحاول التحرش بى كلما أتيحت له الفرصة... لقد وصل الأمر أن الفزع كان يمتلكنى عندما يكون معى فى المنزل. وفى يوم لم أستطع تحمل المزيد فأفضيت لوالدى بالأمر كله رغم انه كان مريضا لدرجة لا تسمح له بعمل أى شئ. لكن يبدو أنه كانت تساوره الشكوك منذ مدة طويلة، اذ بعد ما مات وحان وقت قراءة وصيته، كان المشهد مأساويا لهما. لم يوصى لديليا إلا بأقل ما تستحقه كأرملة، وأوصى بكل شئ عدا ذلك لى، ليوضع تحت وصايتها حتى أبلغ السن القانونية أو أتزوج. بينما يذهب كل نصيبى لبيت المال اذا مت قبل الزواج.

شدت قبضة أصابعها على ذراع لوك وهى تضيف،

- من ساعتها وهم يحاولون بكل طريقة ممكنة وضع أيديهم على الميراث. لم يحاولوا إخفاء نياتهم عنى وظلا لشهر أو شهرين فى غاية اللطف معى ينصحانى بأفضل الطرق لاستثمار ممتلكاتى وأموالى او بناء قرية سياحية للخيوت فى خليجنا، وأبيع المزارع التى ظلت فى حوزة عائلتنا على مدى أجيال وأحول بيتنا الأثرى الجميل الى فندق ليسكنه السياح. وكل ذلك لأومن مستقبلى!!! طبعا ولم لا!!

عضت سيلينا فى مرارة وأكملت حديثها،

- عندما لم يفلح هذه المحاولات تحولوا الى تهديدى وارهابى... لكى أتزوج هنرى، مدركين أنهم لن يستطيعوا الاستيلاء على ثروتى بطريقة أخرى غير الزواج. لم أجبن أمام تهديدهم ووعيدهم ولم أهرب. لقد تصديت لهما ببسالة وصبر حتى أبلغ رشدى وأستطيع طردهما بطريقة قانونية. منعوا أصدقائى من رؤيتى زاعمين أننى مريضة وأعصابى متوترة ويجب عزلى عن الناس. كنت مسجونة فى بيتى. كانوا «ودودين» و« محبين» و «كرماء» معى أمام الناس لدرجة لم تجعل أحدا يشك فيما كانوا يبيتانه لى!! ومع وجود هنرى واستفزازاته ومطارداته على القيام بهذه الاجازة هنا فى هذه المحمية... أووه!! كنت أتخيل أننا سنكون فى مجموعة أو مع مرشد على الأقل نخيم فى أماكن عدة ونتجول... وعندما اكتشفت حقيقة الوضع... وأننى ساكون معزولة عن العالم وحبيسة فى سجنهم... لوك... لم أستطيع... لم أستطيع تحمل المزيد...

توقفت فجأة وانهمرت دموعها بعد أن استطاعت البوح بمكنون

صدرها أخيرا...

نهض لوك من مكانه وربت على كتفيها مهدئا من روعها وهو يقول،

- لقد انتهى كل ذلك الآن، يا صغيرتى... انتهى كل ذلك... ما زلت صغيرة وأمامك عمر طويل تعيشينه فى سعادة وتتعلمين كيف تنسى آلامك. إننى آسف لم أكن لأفهم لولا أن أخبرتنى انت... أليس كذلك؟!

كان يهمس فى أذنيها بصوت خفيض ونبرات عذبة الى أن توقفت دموعها وسحبت نفسها عميقا وسألته،

- معك منديل؟

عبث لوك بجيوبة وأخرج منديلا ورقيا ناولها لها لتجفف دموعها وتمسح خديها المبللين. ساعدها على الدخول فى فراشها مرة أخرى وغطاها بالبطاطين ونظرت اليه بعينين مستديرتين...

ضحك وهو يقول لها،

- اغلقى عينيك وانسى كل شئ واسترخى.

وسرعان ما راحت فى سبات عميق...

ايقظها لوك صباح اليوم التالى قبيل بزوغ الفجر بقليل ونقضوا المخيم وانطلقوا تحت ضوء النجوم...

- لا أطيق الاجتماع مع هؤلاء القوم مرة أخرى!!

قال لوك مبتسما وهو يعاونها على امتطاء الفرس ويؤمئ لها فى اتجاه

المخيم الأخر عبر النهر حيث لم تكن تظهر اى علامات على الاستيقاظ بعد.

سارت سيلينا بالفرس على الدرب غير الممهد بحذر ولكن بقلب سعيد. كانت تحس بانها قد تخلصت من هم ثقيل يجثم على صدرها، وكان افضل ما فى الأمر ما لمسته من تغير فى موقف لوك تجاهها... لقد أصبح يتعامل معها بود ورفق وحميمية. كانت سعيدة أن زال عنها بؤسها وشقاؤها كله... وومتنة له لأنه قبل الحقيقة دون أن يشك فيها. كانت عاطفتها نحوه تظهر فى كل نظرة من نظراتها اليه. كانت سعيدة لدرجة لم تحاول معها اخفاء مشاعرها نحوه. ومر اليوم كله فى هذا الجو السعيد. كانت عيناها متالقتين جذلا، حتى أنها ضحكت من تلميحاته الضاحكة عن مقابلة السيدة «مارتن» مع زوجته «العروس الصغيرة الحاسة».

تنادى الرجال بالتوقف مبكرا قليلا عن المعتاد. كان المشهد قد تغير ببطء مع ازدياد انحدار جدران المضيق الجبلى وتحول الى وادى عميق تكسوه الغابات ثم انفتح بعد ذلك الى مرج واسع تملؤه الأشجار والحشائش وتسير بحذاء النهر وقد غمرته الشمس بنورها فبدا المرج وكانه يستجم فى شمس العصارى تحت ظلال المنحدرات والتلال المحيطة به.

كان النهر اسفل منهما يجرى مخترقا حوضا صخريا ويصل بين ضفتيه جسر خشبى صنع من الواح خشبية من الخشب. على ضفتى النهر كانت هناك حقول زرعت بمحاصيل عديدة وتروى عب جداول خشبية، كما كانت توجد حدائق صغيرة من أشجار التفاح والكمثرى

وقد تلفت بغلالة من النور الذى تناثر فوق فروعها وكانه ضباب كثيف يلفها. كانت تخترق الحقول ممرات كثيرة متقاطعة وتؤدى الى القرية التى كانت تختفى وراء ستار من أشجار التين والبندق العتيقة على الناحية الجنوبية من التل فى الجهة المقابلة لهم. كانت هناك أربع نساء يغسلن الملابس على صخرة ناتئة من الماء قرب الجسر، وفيما وراءهن كانت قطعان الماشية الهزيلة ترعى فى رقع من الحشائش مع عدد من جواميس الماء التى تلطخت أجسادها بالطين وقد وقفت تهز ذيلها فى كسل لتطرد الذباب والهوام. ومن أعلى الوادى وصل مسامعهم قرقعة أجراس ركبت فى أعناق قطيع من الماعز يسوق الرعاة عائدين الى القرية، وللحظة لمحت سيلينا وميضا يلمع فوق صفحة الماء عندما اندفع أحد طيور الغريش الى الماء منقضا على سمكة.

جال بخاطر سيلينا أنها لم تشعر من قبل بمثل هذه السعادة التى تحسها الأن. كانوا يلتفون حول نار المخيم مساء ذلك اليوم وشمس الغروب تصافح أبدانهم بشعاعها البرتقالى. كان «باتش» يلزم جانبها كالعادة وهم يتناولون طعامهم منتظرا فى صبر أن يحل دوره فى تناول الطعام.

كانت سيلينا تتصرف بحرية ودون قيود الأن معهم حتى إنها مالت على ذراع لوك وكانوا يتحدثون عن السياسة الهندية التى لا تعلم الكثير عنها، وسالته وهى تمط حروفها بطريقة موحية:

- لوك! هل. أنت. حقا. دكتور لوكاس فان مير؟

رفع حاجبيه وألقى نظرة جانبية وأجابها،

- ما قلته لأصدقائنا ليلة أمس صحيح. إننى صيدلى.

- أووه!!

صمت هنيهة وأمسكت عيناها بوميض عينيه ثم أضافت،

- هل أنت فعلا أمريكى؟ إنك أحيانا تتحدث بلكنة مميزة جدا.

- يا طفلة الفيل!!

- ماذا؟!

- كلك فضول لا يمكن اشباعه، مثل طفل الفيل فى قصص كيبلينج «هكذا تماما». أى أنك ملآى بالأسئلة.

ضحكت ملء شدقيها لكنها ألحت عليه فى السؤال،

- إنك تعرف عنى كل شئ لكننى لا أعلم عنك إلا أقل القليل!!

- أعتقد أن وصف «متعدد المواطن» يناسبنى. تقول الحكايات أن عائلة فان مير قد هاجروا من هولندا إلى المستعمرة الهولندية، توجد مكانها الآن نيويورك، فى القرن السابع عشر. كنا نبيع السلاح مع القبائل الايروكواز أثناء حروبهم مع قبائل «الألجونكوين» والفرنسيين، ثم انتقلنا فيما وراء حدود نيويورك وعبر سانت لورنس.

ابتسم وهو يضيف مازحا،

- نحن لا نهتم كثيرا بتدوين شجرة العائلة مثلكم أيها الانجليز، لكن

جدتى كانت تعتز بحكاية بعض القصص لنا عن أصولنا الهولندية. ولدت فى كندا لأب هولندى ايرلندى فرنسى وأم اسكتلندية ذهبت إلى الكلية فى ادنبره. وعشت وعملت فى نيويورك ولندن وروما وبانجكوك وهونج كونج وأماكن أخرى كثيرة على ظهر هذه الأرض. لذا أتوقع منك أن تصفيننى بأننى مختلط الأصول ومتعدد الثقافات...

تظاهرت بالدهشة وهى تعلق على كلامه قائلة،

- أى هجين مثل «باتش»...

ثم لوت أنفها فى تصنع للتعالى وأضافت،

- أووه! يا رجلى العزيز!! إنك لست من مستواى بالمرة!!

هددها مازحا،

- ومن أجل هذه الإهانة يا آنسة روكسلى، قد تتعرضين لعلقة ساخنة.

انفجرت فى الضحك قائلة،

- وعود... وعود... مجرد وعود...

كان قلبها يتراقص فرحا وهى ترى نظرات السرور فى عينيه. أشاحت بوجهها بعيدا وقد احمرت وجنتاها... كانت سعيدة لكنها أصبحت فجأة خجولة فالتفتت ناحية نارايان لتجده يقهقه بدوره فى سعادة.

سمعت فرقعة قداحة لوك. ودت لو تنظرُ الى وجهه مرة أخرى. لم

تستطع فتحولت الى نارايان وسالته،

- ما اسم هذه الورقة التى تاكلها بالتحديد يا نارايان؟

- حسنا. انها تسمى «البان» وهى ورقة فلفل الطنبول. إننا نضع فوقها عصارة النارنج، هذه المادة البيضاء، ونفردها هكذا. بعد ذلك نطوى الورقة على شكل قرطاس صغير هكذا. ثم نضع فيه قطعة من جوزة الطيب مع قطعة من الجامبير. ونمضغه نحن الهنود، كما رايتينى افعل، ليساعد على الهضم وينشط الأمعاء ويذهب الكسل والخمول. كنت أود أن أعرض عليك بعضا منه لكننى أخشى أنك ستجدين طعمه لاذعا وحريفا للغاية، وسيؤدى الى التهاب لسانك وشفتيك.

عندها بدا باتش فى النباح وظهر شبح يرتقى المنحدر وفى يده مصباح صاعدا إلى المخيم. هب الرجلين واقفين ورحبا به وناداياه باسم «جو فيند سينج»، ثم أخذ يستجوبانه لمدة طويلة. كان يبدو لقاءا مرتبا من قبل عند هذه النقطة من الرحلة.

ابتعد كونوار بالكلب «باتش» ليطعمه، لكن المحادثه استمرت طويلا لدرجة أن الكلب تسلل من كونوار وعاد ليجلس الى جوار سيلينا قبل أن ينتهى الوافد الجديد من حديثه ويذهب مع كونوار لياكل وليستريح عاد لوك ونارايان ليجلسا حول النار واخرجا خريطة واشعلا المصابيح ليدرسانها.

قال لوك،

- لقد قام الرجل بعمل جيد.

- إنه من افضل رجالى. إذا فقد كنا على حق أليس كذلك؟ لقد عبروا الحدود من نيبال الى اسكوت. عبر الوادى الأعلى لنهر «رامجانجا» إلى «جانجوليهات».

كان إصبع الهندى يتتبع الخط على الخريطة.

واضاف قائلا،

- شمالا إلى «باتجاون» والآن غربا إلى المعبر النهرى عند «باجيشوان» عند هذه النقطة سيحدث التبادل والدفع.

انحنى لوك فوق الخريطة قائلا،-

- حسنا، حتى الآن فالخطة تمضى بصورة جيدة. سنقاطع خط سيرهم هنا. ليس هناك طريقاً اخر مختصراً. اليس كذلك؟

- لا. ليس هناك درب اخر بين «باتجاون» و«باجيشوار».

أحست سيلينا بشئ من القلق نيتابها لكنها سيطرت عليه. كان هو الموعد الغامض... الغاية النهاية لرحلتهم- ومع ذلك فقد بدا عليهم الثقة والاطمئنان الشديدين الى قدرتهما على تناول الأمر. كذلك كان لديها تطمينات لوك عن مستقبلها وكانت هى تثق به. جلست فى هدوء وذراعها تحيط بالكلب الى أن استقرت الآراء حول المسارات التى سيسلكونها والمسافات المفترضة.

عندما حان وقت المبيت ليلا لم يكن «باتش» راغبا بالمرة فى الذهاب مع كونوار وقاومه كثيرا... انحنت سيلينا عليه وربنت على راسه وهى

تسأل لوك:

- ألا يمكنه البقاء معنا يا لوك؟

- لا يا سيللى. إنه أكثر أمنا مع كونوار. هناك فهود هذه الأيام فى التلال أكثر من النمور، والفهود لا تتورع عن مهاجمة الحيوانات الأليفة الصغيرة مثل الكلاب والفراخ.

ارتعدت وسألته:

- إذا فلماذا أحضرته معك بحق الله؟!

أجابها ساخرا:

- إننى لم أحضره وأخاطر بوجوده معنا من أجل سواد عينيه طبعا... إنه مفيد.

- «مفيد»؟!!

- نعم. إنه مدرب ومفيد لدرجة لا تتيح لنا تركه فريسة لأى فهد مار عند هذه النقطة من رحلتنا.

ثم حمل الكلب وناوله لكونوار، وعلمت سيلينا أنه لا ينوى التفسير. توجه ناحيتها قائلا فى رقة ولطف:

- هيا. إذهبى الى فراشك يا عزيزتى ولا تحملى هم أى شئ... مهما كان.

عندما أوت الى فراشها أخذت الفهود والسباع تتقافز فى مخيلتها

وتلقى الرعب فى قلبها حتى راحت فى سبات عميق...

لئن كانت فكرة وجود الفهود بالقرب منها قد أزعجتها ليلة أمس، فقد تحول النمر الذى كان عالم الحيوان الهندى يتكلم عنه الى حقيقة راوها باعينهم فى اليوم التالى. فوجئت سيلينا عندما بداوا السير أنهم يعودون مرة أخرى فى اتجاه فم المضيق. ولم يكن بوسعها أن تسأل عن السبب فى تغير الاتجاه. كان الفرس يسير فى طريقه وسط واد نهرى قديم يخترق غابة ظليلة من أشجار البلوط والصنوبر، كانت العصافير تزقزق فوق الأشجار وفى قلب الأحراش، بينما كان «باتش» يقبع فى قلب حقيبة لوك القماشية التى يحملها فوق ظهره، وكانت الشمس تلقى باشعتها الواهية لتخترق الغصون وتسقط متكسرة على القافلة التى تسير فى قلب الغابة. كان صباحا هادئا ودافئا.

جاء أول انذار من قرود «اللانجور» التى سمعتها سيلينا تتصايح وتصرخ فى الأشجار ولمح لوك واحدا منها يتأرجح على غصن شجرة قريبة. كان ذلك القرد لا يشبه قرود الريسوس التى راوها من قبل... بل كان طويلا نحيلا رمادى اللون وفتحتا انفه ضيقتان وسوداوين وسيقانه نحيلة طويلة كالعصى وذيله طويلا جدا. راوا ذلك القرد يقفز فى ذعر الى قمة الشجرة مطلقا تحذيرية تجاوبت لها كل القردة وأخذت تصرخ فى ذعر.

كان نارايان وجوفيند سينج والدليل يسيرون فى مقدمة الركب. توقفا جميعا. كما توقفت البغال فجأة وقد تصلبت عضلات سيقانها وانتصبت آذانها وقد أبت الا تتحرك من مكانها. أمسك كونوار بزمام

«طوفى» الذى كانت تحس سيلينا وهى تجلس فوقه بمدى الذعر الذى سيطر على الفرس المسكين. وسرعان ما ترددت فى الأفاق أصراء صراخ ليس فقط القردة ولكن أيضا الطيور وقطعان الغزلان التى كانت تصل اليهم من بعيد. أنزل لوك سيلينا من على الفرس وجعلها خلفه بحيث يستطيع النظر أعلى وأسفل الدرب وقد أمسك بها بطريقة تمكنه من قذفها يمينا أو يسارا ليبعدها عن الخطر من حيث يأتى. كانت تستمع الى خنخنة باتش القلقة والقبضة القوية التى يطبق لوك عليها بها ورات عينى الفرس تدوران فى محجريهما كعقارب الساعة. وقد التوى أنفه لأعلى... كل ذلك جعلها تشعر بخدر فى أعضائها وكأنها قد شلت من الرعب!! لم تكن قد عايشت من قبل فى حياتها مثل هذا الخطر الذى يتربص بهم دون أن يدركوا مكانه بالتحديد.

فجأة همس لوك فى حدة:

- إنه هناك!! على تلك الصخور عند الشلال!!

لم تكن تريد أن تنظر لكن عيناها التفتت رغما عنها الى حيث توجد كومة من الصخور المتكسرة على بعد خمسين مترا تقريبا أمامهم حيث يتسلل الدرب فى قلب أحد التجاويف. لم يكن ما رأته كما توقعت بالمرة!! لم تكن تتوقع أن ترى تلك الراس الضخمة وهى تستقر فوق كتفين قويتين وهى تتحرك فى بطء إذا أخذ النمر يتفحص الدرب فى حذر من على قمة إحدى الصخور. كانت الشمس تلفى ببريق رهيب على ظهره وعضلاته القوية، ظلال حمراء بنية تميل الى لون الغروب وقد أظهرها شدة التباين مع الخطوط السوداء التى كانت تقطع ظهره من الجانب الى

الجانب...

وكأنما كانوا بانتظار الاشارة، بدأ الرجال الموجودون فى المقدمة يصيحون ويضربون العصى أحدها بالآخرى، بينما أخذت البغال تطرق الأرض بحوافرها والعلب والأوانى المعلقة فى حرية على ظهورها ضجيجا عاليا... فوجئ النمر بكل هذا الضجيج فبدا يزأر فى خوف ثم فرد قامته وقفز من فوق الصخور الى الجانب البعيد من الدرب واختفى وسط الأحراش. لمحوا ذيله يرتفع وراءه فى غضب ثم سمعوا صوته وهو يبتعد ويتخبط فى طريقه مصطدما بفروع الأشجار، مطلقا صيحات التحذير من كل الحيوانات التى أوقعا حظها العاثر أن تكون على مقربة منه.

دفنت سيلينا وجهها فى يديها وهى ترتعد من أعلاها الى أدناها... سمعت صوت لوك يقول فى سخرية:

- هيه! والآن، من ذلك الشجاع الذى كان يود رؤية «شيربهادور» طليقا فى بيئته الطبيعية.

- ليس... فجأة هكذا!!...

- لقد مرت الأزمة بسلام، يا سيدتى، ولا خطر على الاطلاق. هيا اصعدى.

ثم حملها وأركبها على الفرس مرة أخرى ثم نادى على نارايان ليطمئن منه على الرجال والبغال. كان الفرس قد هدأ مرة أخرى تحت قبضة كونوار القوية التى تمسك بزمامه، بينما استغرق الرجال دقيقة أو دقيقتين للسيطرة على بغالهم وتهدئتها.

أخيرا تغلبت سيلينا على خوفها وقالت مازحة،

- ألم تأخذ له صورة؟!

نظر اليها فى رقة وأجابها،

- كان لدى أمور أخرى تشغلنى. انت مثلا. كان ذكرا شابا وقويا يا سيللى، صحيح البدن وقوى بما يكفى لمطاردة فريسته الطبيعية. إنها نادرا ما تهاجم أحدا إلا إذا حوصرت أو ضايقها أحد، أو إذا كانت نمرة تحمى أشبالها. لكن أحيانا عندما تكون جريحة أو كبيرة فى السن بما لا يسمح لها أن تصيد، فهى تقتل البشر لأنهم فريسة سهلة، ومن الحكمة أن يأخذ المرء حذره من أى حيوان قد يقابله فى البرية. صافى؟؟!

لم تشعر بأى خوف، اذ كانت قد بلغت درجة من اللامبالاة الى درجة الاهمال، حتى إنها لم تذكر ذلك المشهد وهم يتناولون طعام العشاء. كان جو من التوتر يخيم على الجميع ولولا خدرها وغمها لكانت شعرت بوجود توترات أشد وأخطر تسيطر على الجميع. كان كلا الرجلين متوترين وصامتين ومشغولى البال وعندما فرغا من العشاء توجها الى خيمة نارايان ولحق بهما «جوفند سينج» واستطاعت سيلينا أن تسمع أصوات نقاشهم وجدالهم تشق سكون الليل.

لكنها لم تعد تهتم بالرحلة ولا بما سينو ول اليه مصيرها.

١٠ ـ سر كلمة «ليفى»

عندما طلع الصباح، كانت الأمور قد تغيرت على نحو غير متوقع بالمرة. فعندما خرجت سيلينا من خيمتها ذلك الصباح لم تجد أثرا للوك ولا لنارايان، ورغم أن بقية الرجال كانوا يزاولون مهامهم اليومية بطريقة عادية، إلا انها أحست بوجود جو من الصمت والتوتر يخيم عليهم جميعا، مما جعلها تحس بالقلق والتوتر بدورها.

جلست الى نار المخيم شاحبة الوجه ثقيلة الجفن ترتشف الشاى الذى أعده كونوار لها وتشاهد الرجال وهم ينفضون المخيم ويحزمون الأمتعة. كان باتش مقعيا الى قدميها، يخنخن من حين لآخر كما لو كان يشعر بدوره بالقلق الذى يعتصرها.

سألت سيلينا كونوار فى تردد،

- أين... أين «السيدين»؟

أجابها العجوز قائلا،

- انصرفا هذا الصباح مبكرا... لكنهم سيعودوا... لا تقلقى... بسرعة قبل الظلام.

www.elromancia.com

عندما ذهبت لتغسل قميصها حزم كونوار امتعتها ونقض خيمتها عندما عادت أخذت تذرع المخيم جيئة وذهابا فى قلق ولحظت أن «جوفند سينج» والدليل قد اختفيا بدورهما. تساءلت فى دهشة عمن سيعطى أوامر التحرك وإلى متى. زاد باتش من توترها بان أخذ يلتصق بقدميها كلما غدت أو راحت حتى كادت تنفجر فيه غيظا.

عندما نفض المخيم تماما لاحظت سيلينا أن كونوار لم يجهز الفرس لها لتركبه وانما أمر بأقياده مع البغال المحملة الى ما وراء التل.

صرخت فى حدة قائلة:

- قف!! إلى أين يأخذون هذه الحيوانات؟!

أجابها كونوار فى جدية قائلا:

- لا تخاف. إن «الصاحب» أمر أن نفعل ذلك. أنا أيضا أذهب مع «الميم صاحب». مخيم آخر.

سألته فى ريبة:

- لكن لماذا يبعدون بالفرس؟ أين... أين ذلك المخيم الآخر؟

- نمشى قليلا من هنا فقط. افضل أن نكون فى الجانب الآخر من التل. هل «الميم صاحب» جاهز الآن؟

أخذت أصابعها تعبث فى شعرها دون وعى وهى تجيبه:

- لا!... اوه لست أدرى!!! لماذا... لماذا لم يتركوا لى رسالة؟

سألته فى أسى وقد أدركت أخيرا أن لوك قد هجرها كما قال من

قبل. لقد مضوا الى لقائهم السرى! إنه يتم الآن ولا يعلم إلا الله أين ولماذا وقد تم التخلص منها مع بقية الأمتعة!!

أضاف الخادم وكأنه يؤكد شكوكها:

- إن الصاحبين لديهما عمل كثير... يجب أن يرتبوا. الصاحب الدكتور لم يكن يريد ازعاك وأنت نائمة، لكن أعطانى أمراً بأن أهتم بك وأرى أنك سليمة تماما.

أغمضت سيلينا عينيها وسحبت نفسا عميقا لتهدئ نفسها. لم يكن لديها خيار سوى مرافقته.

وافقته على مضض قائلة:

- حسنا، ليكمن ذلك.

وتنهدت فى أسى وتبعته عبر المنحدر وخلال الأشجار.

كانت أرضا وعرة وحملت سيلينا الكلب خشية أن يضل عنهما. كان الدرب لا يزيد على شجيرات متكسرة وأحراش مسحوقة من أثر مرور البغال عليها وأخرج كونوار مطواة صغيرة من جيبه وأخذ يصنع علامات على الأشجار. تبعت سيلينا الخادم وهى تتعثر فى طريقها. وبعد عشر دقائق من السير الفنى بدأت تحس بالارهاق وبدأت عيناها تلتمعان مع ذلك الشعور بقلة الحيلة الذى أخذ يفترس ما تبقى بها من طاقة.

كانت على وشك أن تطلب من كونوار التوقف بضعة دقائق لتلتقط أنفاسها حينما وصلوا فجأة الى واد صغير يختفى وسط الأشجار وفى أسفله يجرى جدول صغير هابطا من فوق بعض الصخور. وجدت سيلينا فى

www.elromancia.com

فسحة من هذا الوادى الصخرى كل معداتهم موضوعة والخيام قد نصبت مرة أخرى. بث ذلك فيها شيئا من الارتياح الى أن نظرت الى الضفة الأخرى من الجدول، كان الفرس «طوفى» والبغال ترعى فى الحشائش الموجودة على الضفة الأخرى فى هدوء، لكنها رأت أيضا فيما وراءهم بقليل ما يقرب من ستة رجال لم ترهم من قبل يلتفون حول نار مخيم خاص بهم. كانوا مهلهى الملابس مثل رجال التلال وكان منظرهم مخيفا وكأنهم من رجال العصابات وقد جلسوا القرفصاء تحت الأشجار وفى يد كل منهم عصى طويلة ذات عقد تشبه النبوت أو الهراوة وينظرون إليها وقد اكتست ملامحهم بتعبيرات مرعبة.

تملص الكلب من بين ذراعها وطار الى شاطئ النهر ينبح فى الرجال. تلفتت سيلينا حولها فى ذعر بحثا عن الخادم الذى كانت تدرك أنه لن يستطيع حمايتها من هؤلاء الأشرار وهى تتخيل لوهلة أنه قد أوقع بها فى فخ.

أسرع كونوار يهدئ روعها قائلا:

- لا شئ تخافى منه. لا. لا. لا تخافى «ميم صاحب» إنهم رجال «ناريان صاحب». اذهبى استريحى فى الخيمة، ميم صاحب. أنا أصنع لك شرابا باردا.

ثم مضى ليحضر الكلب وتبادل بعض الكلمات مع الرجال وعندما عادت الى سيسلينا رباطة جأشها بما يكفى للنظر اليهم مرة أخرى وجدتهم يبتسمون ويتبادلون النكات. ربما كانت التعبيرات المخيفة التى ارتسمت على وجوههم مجرد فضول. ومع ذلك فلا يزال مظهرهم يقلقها

فجلست فى توتر حيث يمكنها مراقبتهم.

تجرعت عصير الفواكه الذى أحضره لها لكنها أبت أن تتناول أى طعام. عندما وجد الخادم نفسها عاجزا عن إثنائها عن الرفض صاح مازحا:

- ثوبا! ثوبا! «لوك صاحب» يضربنى لأجل ذلك. أنا مطرود!!

تساءلت سيلينا فى نفسها:

- وهل سيعرف لوك؟ وحتى إن عرف هل سيبالى بها؟

ثم توجهت نحو الخادم وسألته:

- لماذا انتقلنا الى هذا المخيم مع هؤلاء الرجال؟

كان صوتها مضطربا.

صمت كونوار برهة دون أن يجيبها، ثم وكأنما أدرك مدى التوتر الذى تعانى منه قال لها بهدوء:

- إنه مكان جيد وبعيد عن مكان «بوتيا» ولا يصل صوتنا الى هناك. سيصل المزيد من الرجال من «رانيخت» عن طريق آخر. بالنسبة لكل شخص آخر فهم رجال تلال مسافرون، لكن «الصاحبين» يحتاجون اليهم.

عاودت سيلينا مخاوفها القديمة من أن يكون لوك وناريان متورطين فى شئ خطير...

سألته وقد بدأ الخوف يتسلل الى قلبها:

www.elromancia.com

- ما... ما هو «البوتيا»؟

- رجل من دولة «بوتان». كيف انا اشرح ذلك للميم صاحب...

حك ذقنه ثم اضاف:

- هناك رجال تلال هنود وهناك رجال جبال آخرون. مختلفون عنا- مثل الناس الذين فى التبت. هؤلاء من نيبال وسيكيم وبوتان هذا البوتيا هنا يتاجر فى الملح والدقيق و «الجور» مكانه فى الممر الذى يتوقف فيه المسافرين ليشتروا الطعام. بعض الرجال الأشرار يقفون هناك الآن.

توقف أخيرا وهو يهز رأسه ويمصمص شفتيه وقد زاد سيلينا خيفة وتوجسا.

أومات إليه برأسها وكانها قد فهمت كلامه، لكن كان رأسها يطفح بالأفكار والهواجس التى أثارتها تلميحاته وكلامه الذى قاله. بدت نقطتان واضحتين أمامها: ستكون هناك مواجهة بين لوك وناراين وهؤلاء «الرجال الأشرار» كما عبر كونوار عن ذلك بلغته الركيكة، وحيث أن التعزيزات بالرجال والهراوات قد وصلت فى سرية وحيث أن المخيم قد اختفى خلف التلال بعناية، لذا فسيكون هجوما مفاجئا. وفى أقرب وقت، فى أقرب وقت ممكن...

لذا، فأين ذهب لوك إذا؟ بكت فى صمت. هل يخطط للهجوم؟ إنها لم تشهد فى حياتها صراعا بين رجال، فضلا عن أن يكونا مسلحين. ارتعشت رعبا وطوقت نفسها بذراعيها وأخذت تهز نفسها بمنة ويسرة فى قلق. على الأقل سيعود الى المخيم كما أخبرها كونوار هذا الصباح. تجمعتع

فى رأسها كل تحذيرات لوك عن السرية والسلامة الآن وهى تشاهد تغير ظلال الاشجار التى تتحرك مبتعدة عن ضوء الشمس مع مرور الساعات.

ثم فجأة... وجدته!! فى لمح البصر كان فى المخيم واندفع باتش اليه... وعلى الرغم من ضخامة جسده فقد تسلل فى خفة الفهود من خلال الغابة. هبت سيلينا واقفة على قدميها وشعرت بدور شديد وكانها على وشك السقوط. أسرع لوك يقطع المسافة بينهما فى خطوات قليلة وادركها قبل أن تقع.

سألها فى قلق:

- سيلينا؟ هل انت على ما يرام؟ يبدو على وجهك المرض.

كانت تعصف بها عاصفة من الارتياح... والحب... والقلق الذى كان ينهش كيانها.

صاحت فيه من بين آلامها وأحزانها:

- لماذا... لماذا تفعل ذلك؟

- ما الذى يفترض اننى افعله الآن لأستحق هذا التوبيخ منك؟!!

- تتشاجر... وربما ستقتل بعض الناس...

ضاقت عيناه ولمع فيهما شرر الغضب وهو يجيبها:

- لأنه يجب أن يحدث ذلك. كنت تعرفين منذ البداية أننا بصدد مهمة خطيرة. وها هى المهمة.

صاحت فيه وقد اقترب صوتها من الهستريا:

- ما هى؟ ماذا؟ إننى أدعو الله أن أستطيع فهم ما يجرى هنا!!

قبض لوك على معصمها فى عنف ولوى ذراعها موجها اياها نحو الخيمة وهو يقول لها،

- إنك ستفضحيننا يا سيلينا. إن ذلك سيؤثر على الروح المعنوية للرجال. ادخلى هنا. هيا!!

دفعها الى داخل الخيمة وأجلسها فى عنف أخفلت منه وهى تدلك معصمها فى الم. ها هو «لوك» يعود غريبا كما عرفته أول مرة، قاس وفظ وساخر!!

جثا على ركبتيه وهمس لها قائلا،

- انصتى الى جيدا. أظن أنك تستطيعين الأمر كله الآن. إننى عميل سرى لمكتب دولى مهمته تعقب عصابات تهريب المخدرات. هل تعرفين ما أقصد؟

سحبت نفسا عميقا وسألته فى دهشة،

- مخدرات؟

- أجل. إن هذه المهمة تتعلق بالمخدرات يا سيلينا.

بدت الصدمة والانزعاج فى عينيها وهى تسأله،

- هنا؟ فى هذا المكان المنعزل؟ لكن ماذا سيضعون بها هنا؟

ضحك قائلا،

- إنهم سجربون كل طريق واخر الوسائل التى نتوقعها لايصال هذه المخدرات الى الأسواق الكبرى. إنها صناعة يا سيلى، تجارة بالمليارات.

وأضاف،

- هل سمعت عن «المثلث الذهبى»؟

اومأت برأسها نفيا دون أن تنبس بكلمة فأضاف،

- إنها منطقة منعزلة ونائية فى التلال الواقعة على الحدود بين بورما وتايلاند. إن الفلاحين المعدومين يزرعون الخشخاش ويحصدون مئات الأطنان من الأفيون الخام فى مناطق معزولة لدرجة أن السلطات لا تستطيع السيطرة عليها أو الوصول إليها. أما التجار- ومعظمهم يشكلون عصابات وجيوش متحاربة من أجل فرض نفوذها- فيجمعون الأفيون ويسلمون الى مصانع سرية حيث يصنعون منه المورفين غير المشروع، بالاضافة الى ذلك المخدر الذى يسبب الكثير من البؤس والوفيات- الهيروين، ويشتق من المورفين. ثم تتسلمه العصابات الاجرامية.

كانت سيلينا تحس بالغضب يفيض من نبراته وهو يضيف،

- تلك المجموعات مثل جماعات «الثلاثى الصينى» السرية وغيرها من العصابات التى تتاجر بالجملة والوسطاء. يقومون بتهريبه عبر المحيطات والقارات عبر تجار التجزئة والموزعين الى ان يصل الى التجار المحليين فى كل بلد ليبيعوه الى المدنيين التعساء الذين يدفعون فيه ثمنا يزداد كل يوم مقابل جرعة واحدة. عند هذه المرحلة تكون هذه القنارة قد تم خلطها بالتلك أو اللبن البودرة لمضاعفة الأرباح. يا إلهى! عندما أفكر فى

www.elromancia.com

تلك التى تدفع فيه والتى يمكن توجيهها كل عام لمحاربة الفقر والأمراض والمجاعات فى كل أنحاء العالم، وتذهب إلى أيدى هؤلاء الـ....

- صمت لوك واشتدت قبضته على معصم سيلينا. حتى إنها أحست بأن عظام يدها تتكسر تحت قبضته لكنها لم تئن ولم تتململ وسألته فى صوت خفيض:

- وهذا «العمل».... كيف عرفت انه يحدث هنا؟

خفف قبضته قليلا وأجابها:

- شرطة مكافحة المخدرات. فى كل مرة نقبض فيها على هؤلاء المهربين ونكشف أساليبهم ونحطم عصاباتهم،يقومون بتنجيد آخرين ويبتكرون طرقا جديدة للتهريب. إننا لا نستطيع الامساك بهم فى كل مرة، لكن رجال الشرطة فى أوروبا وآسيا وأميركا يوجدون جهودهم ويتعاونون فى تعقب شخصيات المهربين والمسارات التى يسلكونها والأساليب التى يستخدمونها وعندما نلقى القبض عليهم متلبسين فلا تصبح المسألة مجرد «ضربة» بوليسية وفرقعة اعلامية، ولكننا ننقذ أرواح العديد من المدمنين. إن أدنى جهد نقوم به له قيمته يا سيللى.

- انتزعت يدها من قبضته. نظر فيما وراء باب الخيمة الى حيث كان الرجال الهنود يقفون فى احترام، فى وضع انتباه تقريبا، وبدا وكأنهم يتلقون التعليمات الأخيرة من نارايان فى ضوء المتلاشى. استأنف لوك كلامه قائلا:

- نارايان وأساو ضابط نيبالى اسمه «بالاسين» كنا قد تقابلنا منذ

بضع سنوات فى مؤتمر لرجال الشرطة من ثمانية عشرة دولة انعقد فى «تشيانج ماى» فى تايلاند... ومنذ سنتين تلقى «بالاسين» اخبارية من مصادره بأن إحدى عصابات التهريب تستخدم تجارة السياح إلى نيبال لتهريب البضاعة. وعندما تتجمع لديهم كمية مناسبة تنقل على ظهر البغال عبر الحدود إلى الهند وعلى طول الدروب المنعزلة فى الهيمالايا والتى تصل إلى كشمير وجامو ثم عبر الحدود الأفغانية ليتم توزيعها. لم يكن لدينا أدنى أمل فى اقتناء أثرهم عندما تنفصل الشحنة مرة أخرى. وسيتم الانفصال فى نقطة ما على الطريق. وهذه النقطة هنا يا سيللى هذه العملية ستنتهى هنا. لقد استغرقنا شهورا عديدة لتتبع أثرهم وكنا نعمل متخفين...

إنها حملة «لوك» إذا!! فكرت سيلينا فى نفسها ثم قالت:

- ثم جئت أنا لأفسد لكم العملية فى اللحظة الأخيرة... لم أكن أفكر إلا فى نفسى... كنت أتمنى لو كنت أعرف!!!

- وكيف كنت ستعرفين؟ كنا سنعيدك لبلدك لولا ما تسبب فيه هنرى سبندر من بلبلة كادت تفسد العملية كلها. كانت كان قرارا صعبا وكان علينا اتخاذه! لقد أدخلناك فى العملية كزيادة فى التغطية يا سيللى، ولقد قمت بدورك على نحو رائع وبأكثر مما توقعنا. هؤلاء المهربون لا يمزحون كما تعلمين. وهم على استعداد للذبح أو تعذيب من يشكون فيه بأقل قدر. و لو كنت تعرفين أى شئ- ولو كنت وقعت فى أيديهم! يا إلهى!!...

صمت لوك فجأة... كانت الشمس قد غربت وتساقطت على الوادى

ظلال مخيفة. من الأفضل انها لم تعرف الحقيقة من قبل... ارتعدت فرائصها رعبا وهى تتخيل ما لم يقله «لوك».

أمسك بها لوك فجاة وأدناها منه قائلا:

- لقد أضاعوا منى شخصا عزيزا بالفعل... لكننى لن ادعهم يأخذونك... لن أفقدك ...

رفعت رأسها اليه وظلت كلمته تغنى فى عقلها...

«لن افقدك».

تعلقت عيناها بوجهه وهى تسأله:

- من؟ من الذى فقدته يا لوك؟

أحست بأنفاسه الساخنة على وجهها وهو يجيب:

- أختى انا. كانت مدمنة للهروين وهى فى الثامنة عشرة. حاولت التوقف على ذلك لكنها لم تكن قوية بما يكفى. تناولت جرعة زائدة...عندها تخليت عن العمل كصيدلى يقوم بالتدريس لطلبة الطب ويعمل داخل المعامل النظيفة المجهزة بالأجهزة الباهظة الثمن.

أضاف باسى:

- وذلك ما يجعلنى أجن حينما أسمع فتاة صغيرة تهدد بالانتحار.

كما فعلت هى فى نوبة غضب ذلك اليوم وهما فى السيارة الصغيرة- الآن عاودتها ذكرى تلك اللحظة مع فورة فى مشاعرها. غضب «لوك» الهائل من اولئك «الوحوش البشرية»، وما كان يراودها من يقين

بأن هذه الرحلة الجبلية هى أكثر من مجرد مهمة بالنسبة له، بل تكاد تكون ثأرا شخصيا الآن بدا كل شئ يبدو منطقيا ومفهوما: مزاجه المتقلب، الطريقة التى كان يحميها ويراقبها بها، وأدق تفاصيل تلك الأيام التى عاشوا معا. الآن تحس بقلبها يمتلئ حبا له!!

رمقته بحنان. وهى تقول فى رقة:

- انا آسفة يا لوك... انا آسفة...

أجابها ساخرا فى لطف:

- آسفة لأننا التقينا؟ ذلك مناسب حقا!!

- لا. لا... لا تسخر منى الآن يا لوك... إننى لا أتحمل ذلك...

سقطا فى هوة الحب معا... دون أن يشعرا... وعزف الليل الجاثم خارج الحجرة موسيقى حالمة تراقصت على أنغامها عواطفهما وأحسا بأن الخيمة تتحول الى جزيرة وسط بحر ذاتى ينعزل عن العالم... أو كان الدنيا قد خلت إلا منهما...

نادى نارايان على لوك مرتين قبل أن يفلح صوته فى اختراق جدار الغيبوبة العاطفية الذى كان يحيط بهما، ليصل أخيرا الى مسامعهما. خطا نحو باب الخيمة فتبعته تناشده وتتوسل اليه:

- لوك... أرجوك لا تذهب...

دفعها جانبا وأنفاسه تتلاحق وخرج يعدو تبينت سيلينا فى صعوبة اشباح الرجال المنتظرين تحت الأشجار. كانت نار المخيم قد أطفئت وليس

هناك من نور الا من الفانوس الذى كان يحمله أحد الرجال. رات فى ضوء الفانوس الخافت نارايان وهو يناول لوك مسدسا ليضعه بحزامه حول كتفيه. كانت لا تزال تحس بالدوار وبانها فى كابوس مخيف.

خطت فى تعثر خارج الخيمة لتجد لوك يلحق بها ويقيمها وينظر اليها بعينين تتالقان ووجهه تحولت قسماته الى خطوط من التهكم وكانه قناع من الأبنوس القاتم.

قال لها فى صوت هامس:

- قلت من قبل أنك ستفعلين أى شئ من أجلى. حسنا انبطحى أرضا هنا أو نامى على السرير مهما حدث. إلا إذا سمعت منى او من ناريان. هل تفهمين؟

كانت نظراتها مركزة على مقبض المسدس الذى يبرز من الجراب المعلق حول كتفيه...

نهرها فى حدة قائلا:

- هل سمعت ما قلته؟ سنترك كونوار سيبنج والدليل ليقوما بحمايتك أما أولئك الرجال البهنود فسيحمون الحيوانات ويقومون بحراسة المخيم.

ناشدته وهى ترى جوفيند سينبج يحمل باتش ويعبر به النهر:

- ساعتنى انا بباتش. أرجوك دعه معى. سابقى عليه هادئا.

- لا. سيذهب معنا. قد تكون عملية سهلة. لكن المهربون قد يلجاون

الى اخفاء المخدرات اذا أحسوا بأى شئ. باتش مدرب ويستطيع اقتفاء أثر المخدرات والكشف عن مكانها. اذا كانت هناك فسوف يرشدنا اليها، مهما حدث له.

رفع لوك يده والقاها جانبا دون أن يلمسها مضيفا:

- يجب أن نرحل الآن لنصل الى الممر قبل بزوغ القمر ابقى فى الخيمة يا سيللى أخفض رأسك وحاولى النوم.

تبادل بعض الكلمات مع كونوار سيبنج والدليل ثم ابتعد دون أن يلقى اليها بكلمة واحدة وهبط المنحدر ثم عبر النهر وقفت سيلينا تشاهد اشباحهم الصامتة وهى تذوب فى الغبة، ونور الفانوس الذى يحملونه يتضاءل ويتلاشى شيئا فشيئا.

لم تدر مطلقا كم بقيت هكذا صامتة تحدق فى الظلام. كانت ترتعش من أم رأسها حتى أخمص قدميها. كانت ليلة باردة. بدأت تدخل الخيمة وكادت تصرخ رعبا عندما أحست بشئ على كتفيها، ثم وجدت كونوار يضع بطانية حولها قائلا:

- ليس مسموح بالنار. لا دفء. لا استطيع أطهو للميم صاحب. الميم صاحب تدخل الخيمة الآن.

- حسنا حسنا.

غسلت وجهها بماء النهر ثم توجهت الى الخيمة.

كانت تلك أطول ليلة فى حياتها. كانت كل ساعة تمر وكانه دهر مع ذلك القلق وهذا الرعب اللذين كانا يسيطران على كيانها. كان ظلال

الليل حالكا ولم يكن من أصوات سوى أصوات الحيوانات البرية التى تجوس خلال الأشجار والأحراش، وبعض الهمهمات للرجلين اللذين وقفا أمام خيمتها يحرسانها. كانت تحس ببرودة قارصة تنهش بدنها ومع ذلك فقد كانت شفتاها ويداها غارقتين فى العرق. عندما أوقظها فجاة صراخ الحيوانات البرية هبت واقفة على قدميها لتجد انها قد بلغت من الاعياء والارهاق مبلغا مع توترها عدم تناولها لأى طعام طيلة اليوم كله. استلقت مرة أخرى على السرير ودفنت نفسها تحت البطاطين، وقد تصلب جسدها وتحركت شفتاها تتمتم بالصلوات والأدعية.

تسلل خيط من ضوء الشمس الى داخل الخيمة وربت على جفنى سيلينا لينتشلها من وهدة النوم التى كانت قد سقطت فيها ليلة أمس. هبت تقعد على السرير بجفنين ثقيلتين وراس يلفه الدوار... لمحت غطاء الخيمة مرفوعا ورات كونوار سيبنج يجلس الى نار المخيم، والغلاية يتصاعد منها البخار وقد وضعت فوق الموقد البريموس وباتش على مسافة تحت أحد الأشجار يقضى حاجته.

لوك!!... لوك!!

قفزت سيلينا من تحت البطاطين تنتحل حذاءها.

كادت تقع فوقه وهو نائم على الأرض فى منامته على بعد خطوات من الخيمة. لفها ارتياح هائل فوضعت يدها على معدتها التى تقرصتها من الجوع ثم جثت على ركبتيها بجواره والدموع تنهال من عينيها. فتح عينه فى خمول وإجفال من ضوء الشمس ثم انفتحت العين الأخرى، أخذ يمسح دموعها بكفيه الخشنتين فاستكانت نفسها كثيرا.

بدرت منها تنهيدة ارتياح طويلة وهى تقول:

- حمدا لله! لقد انتهى الأمر... وانت... انت على ما يرام!!!

تثاءب فى كسل وأجابها:

- بدون خدش واحد.

- الحمد لله! الحمد لله.. الحمد لله يا ربى!!

تمالكت نفسها بعد برهة وسألته عن الغارة الليلية.

أجابها فى ثقة:

- لابد أن خطتنا قد نجحت تماما. لم تتسرب أية أخبار ولم يشكوا فينا بالمرة. لقد قبضنا عليهم متلبسين بكل بساطة. كانت قد وصلتهم شحنات أخرى دون أى مشاكل لدرجة اننا وجدناهم فى غاية الاسترخاء. إن هؤلاء الملاعين لا يقتربون من ذلك السم الذى يبعونه للناس ولا يتناولونه أبدا، لكنهم كانوا قد راحوا فى النوم. حتى الرجال المكلفين بالحراسة وجدناهم نائمين... استغرقت العملية عشر دقائق فقط وبعض الكسور والرؤوس المتورمة...

ارتجفت سيلينا من الطريقة التى كان يتحدث بها...

فأضافت فى نفاذ صبر:

- حسنا حسنا. كلهم أحياء وبحالة تسمح بترحيلهم وتقديمهم للمحاكمة.

- أين هم الآن؟

www.elromancia.com

- تم وضعهم فى القيود وفرض حراسة مشددة عليهم فى مكان قريب من كوخ البوتيا قرب المر. أما الهربون الذين ينتظرون عند «باجيشوار» فستتجمد أطرافهم من البرد ليوم أو يومين الى ان تصلهم الرسالة! هذا الدرب لن يعود يدر المال عليهم مرة اخرى. سيلقى «بالاسين» القبض على الوسطاء النيباليين بمجرد ان تصل به باللاسلكى ونخبره بأسماء المتورطين فى العملية.

- هل جرح السيد «نارايان»؟

- ولا خدش. ما زال فى الخيمة، يتولى مسؤولية المخيم. نحن فى الأرض الهندية، نطاق سلطة «ناريان». لديه سلطة توقيفهم واحتجازهم. تبدو وكأنها أكبر عملية أمنية فى حياته، وهو يستحقها.

- تبدو؟ ألست متأكدا؟

ارتسم المزاح على وجهه وهو يجيبها:

- ليس بعد. كل ما وجدنا على ظهور البغال كان بالات من الملابس!!

شتت ذلك تفكيرنا واحبطنا لبرهة. لكن الكلب... لم يترك الكلب الملابس فى حالها وانقض عليها... ونحن نثق بأنف هذا الشيطان الصغير أكثر مما نثق فى تقديراتنا الشخصية. وعادت إلى طبيعتى الصيدلية مرة أخرى هناك. إذ طرأ على بالى أن الهيروين قد حولوه إلى معجون غمس فيه الملابس. لا نستطيع أن نقرر حجم الضبطية حتى نستخلص الهيروين من الملابس مرة أخرى.

- يا الله!! لم أكن أتخيل أنهم بهذا... بهذا الذكاء!!

- بل ماكرين كقطيع من القرود الخبيثة!!

ادنت وجهها من وجهه قائلا:

- لوك... ماذا سيحدث الآن؟

- سننتقل السجناء والشحنة الثمينة إلى رانيجت فى أمان، ثم نرتب عملية ترحيلهم الى دلهى. ثم نتقص مكان سيندر، إن كان لا يزال هناك، ونعيدك فى أمان تام الى انجلترا. لدى أصدقاء فى لندن يمكنك الالتجاء إليهم. أحدهم محامى، وذو أخلاق. سيساعدك هو وزوجته على تدبير كل أمورك.

اعتدلت فى جلستها فى حدة وطوقت ساقيها بذراعيها. كان حلقا حافا. حانت اللحظة الحرجة.

قالت له فى أس وتصميم:

- لا!! أريد ان ابقى معك يا لوك!!

- مستحيل.

- ولم لا؟!

- لأن الاعتراف بالجميل ليس سببا كافيا لأن تربطى حياتك فى مرسى جديد وانت لا تزال بعيدا عنه ثم التفتت اليه مرة أخرى وحاولت الكلام لكن لسانها خذلها عندما وجدت تعبيرات وجهه بهذه القسوة. أضاف قائلا:

- أكيد، إنك تتخيلين أنك تحبيننى الآن، لكنه حب لن يدوم يا

www.elromancia.com

سيلينا. إنه مجرد تعبير عن الاعجاب بشخصيتى والذى تولد فى نفسك كرد فعل على دناءة سبندر تجاهك.

صمتت هنيهة مصدومة ورأسها ترتكن على يدها...

سألته فى أس،

- إذا كان ذلك هو رأيك فيما أحس... فلماذا كنت تعاملنى بكل هذه الرومانسية

ليلة امس؟!

- أوه! سبحان الله!! بعد كل ما عانيته مع سبندر ألم تتعلمى شيئا بعد عن طبائع الرجال؟!! انظرى، كيف تظنين سيكون إحساس اى رجل عندما تصادفه فتاة جميلة مثل سنك .

أجبرت نفسها أخيرا على الكلام وقالت،

- هل هذا هو كل ما أعنيه لك؟... مجرد فتاة جميلة زادت من تعقيد موقف معقد أصلا؟!

زم شفتيه وهو يجيبها،

- لم أقل ذلك.

قالت له فى لهجة جادة،

- حسنا... مهما كان رأيك يا لوك، فقد عنى ذلك لى الكثير. إننى احبك وساظل أحبك للأبد. كما ترى فانا أعرف وافهم ماذا أريد أفضل من فتيات كثيرات فى مثل سنى لأننى عشت سنوات طويلة أتعلم. «ما

لا أريده». شئ صعب. نعم. إننى أريد ما يمكن أن يعطيه شخص مثلك لى من حب وحنان وحماية، كحبيب وصديق يوثق به. لقد سافرت إلى بلاد كثيرة وقابلت نساءا كثيرات يا لوك، وإذا لم أكن من النوع الذى يروق لك. ففيما عدا فى بعض الظروف الخاصة...

أشاحت برأسها ثم قالت فى هدوء وكبرياء،

- اعتذر إن كنت قد أزعجك.

- لن نفلح فى ذلك يا سيلينا!!

أحست لأول مرة بشئ من التردد فى صوته الذى طالما كان واثقا لا يهتز. أضاف موضحا،

- لا يمكنك التعود على الحياة التى أحياها. التنقل من فكان إلى مكان دون وطن نستقر فيه لمدة طويلة. كما أن هناك خطر عليك، فبحكم كونك زوجتى ستكونين فى خطر من محاولات هؤلاء المجرمين الذين أطاردهم الانتقام منى.

ثم اعتدل فى جلسته مضيفا،

- لا... ليس ذلك عالك يا سيلينا...

نظر اليها ليجد عينيها المستديرتين التى تتلألأ فيها الدموع تحدقان فيه وقد بدأت شمس المعرفة تشرقان فيهما...

لكنه أكد عليها فى خشونة،

- ولا تقترحى على ترك هذه الوظيفة: لم أخلق لمعاونتك فى ادارة

www.elromancia.com

عزبتك الريفية فى قرى انجلترا!!

سألته فى رفق:

- ومن ذا الذى طلب منك ذلك؟

غاص لوك بعينيه فى عينيها قائلا:

- هل لديك أدنى فكرة عما تفعله عيناك بى؟

حلق قلبها فى السماء فرحا وابتسمت قائلة:

- ليلة أمس... عندما فضحك خوفك على حياتى.. ألم يكن هذا حباً يا «لوك»..؟

استدار لها قائلا:

- نعم.. نعم... إننى أحبك أيتها الصغيرة العنيدة...

سألته وقد أغمضت عينيها:

- لوك... ما معنى كلمة «ليفى» هذه!!

أجابها ضاحكا:

- إنها كلمة هولندية قديمة... تعنى: «يا حبيبتى».

www.elromancia.com